

روايات جبريل الجليلي

رجل المستحيل

قصة الشر

109

د. نبيل فاروق

Looloo

www.dvd4arab.com

الأسطورة العربية الحديثة

نصير ولسون والفرج

توزيع: مطبعة مصر، القاهرة ٢٠٠١

١ - أصابع الدمار ..

غاص مفتش المباحث الفيدرالى (دين هاتكس) فى مقعده ، داخل حجرة صغيرة محدودة ، فى مبنى المباحث فى (نيويورك) ، وتطلع فى اهتمام مشوب بالإرهاق إلى (بيرت) ، مسئول أمن سجن (نيويورك) المركزى ، الذى بدأ شديد التوتر والعصبية ، وسط الصمت الذى خيم على الحجرة ، وهو يدير بصره فى جدرانها العارية ، والرجل ضخمة الجثة ، الذى وقف إلى جوار بابها ، ومسدسه الكبير يطل من غمده أسفل إبطه ، ويتوقف عند المائدة الوحيدة الصغيرة فى منتصفها ، التى جلس (هاتكس) عند الناحية المقابلة منها ، يرمقه بنظرة صارمة ، جعلته يقول فى عصبية :

- حسن .. لقد أحضرتمونى إلى هنا لإلقاء بعض الأسئلة ، وليس للجلوس هنا ، لنعزف معنا سيمفونية الصمت (*) .. أليس كذلك ؟

(*) السيمفونية : تأليف آلى فى الموسيقىات الأوروبية ، ويعود أصلها إلى افتتاحيات الأوبرات الغنائية فى (إيطاليا) ، فى القرن السابع عشر ، ثم تطور فأصبح تأليفاً مستقلاً ، تشترك فيه مجموعة الآلات الموسيقية (الأوركسترا) ، ويراد به إظهار هيئة تصويرية لحالة ما ، أو إعطاء معنى محدود .

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ، هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لسبب لغات حية ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعددة . لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

تبادل (هاتكس) وزميله نظرة صامتة ، ثم اعتدل
الأول ، وسأل (بيرت) في صرامة مباغثة :
- لحساب من تعمل يا (بيرت) ؟

انتفض جسد (بيرت) في عنف ، واتسعت عيناه في
ارتياح ، مع السؤال الذي لم يتوقعه قط ، وانطلقت من
حلقه شهقة أشبه بالاعتراف ، واختلق حلقه بالكلمات
طويلاً ، حتى إن (هاتكس) مال نحوه ، وهو يقول في
خشونة :

- هل كان السؤال مباغثاً إلى هذا الحد ؟
ارتبك (بيرت) ، واضطرب وخرجت الكلمات من
بين شفتيه مرتجفة مختنقة ، وهو يتمتم :
.. ما .. ما معنى هذا السؤال ؟

أجاب (هاتكس) في لهجة هجومية عنيفة :
- معناه أنك لست مخلصاً لعملك يا (بيرت) ، وأنت
لا تستحق الحصول على منصب مسئول أمن السجن ،
مع سجل حافل بالمخالفات إلى هذا الحد ، فكيف وصلت
إلى ما وصلت إليه ؟ .. من دفعك للحصول على هذا
المنصب ؟

انتفض جسد (بيرت) ، وهو يقول في عصبية :
- ليس هذا من شأنك .

تراجع (هاتكس) بمقعده ، قائلاً :

- حقاً ؟ .. وماذا عن عملية الفرار الأخيرة ؟ هل
تعتبر نفسك مسئولاً عنها ؟ .. وهل تظن أنك تصرفت
بما ينبغي تجاهها ؟

قال (بيرت) في توتر شديد :
- لقد بذل رجالى قصارى جهدهم .
قال (هاتكس) :

- ولكن السجين نجح في الفرار .

هز (بيرت) رأسه في قوة ، هاتفاً :

- لا أحد يمكنه تحقيق الأمن بنسبة مائة في المائة ..
لقد أدبنا واجبنا ، وبذلنا كل ما يمكننا ، ولكن ذلك الرجل
بالذات كان أشبه بالشياطين .. ثم إنه لم يكن رجلاً عادياً ..
ألم تر صورته على شاشة (التليفزيون) ، وتسمع
ما قالوه عنه ؟ .. إنه رجل مخبرات ياهذا .. رجل
مخابرات مدرب على الفرار من أصعب المواقف .
انعقد حاجبا (هاتكس) في غضب ، وهو يسمع هذا
القول ، وقال في حدة :

- إذن فأنت تعتقد أنك كنت مخلصاً في عمالك .

هتفت (بيرت) ، وقد استعاد شيئاً من ثقته بنفسه :
- بالتأكيد .

صمت (هاتكس) بضع لحظات ، وهو يتطلع إليه
بنظرة نارية ، ثم سأله في صرامة شديدة :

- ما علاقتك إذن بـ (توماس كلارك) ؟

وفي هذه المرة ، كانت التفاضلة (بيرت) من الضف ،
بحيث كادت تقلب به مقعده ، وبدأ اتساع عينيه عجباً ،
حتى خيل لـ (هاتكس) وزميله أنهما ستقفزان من
محجريهما ، وتدلّى فكه السفلى على نحو مثير للشفقة ،
قبل أن يتمتم في ارتياح شديد :

- (توماس) من ؟

أجابه (هاتكس) بمنتهى الصرامة :

- (توماس كلارك) يا (بيرت) .. القاتل المحترف
السابق ، الذي عمل بعض الوقت لحساب (المافيا) ،
والذي يشاع أنه يرأس اليوم اتحاداً للقتلة المحترفين ..
ألا تعرفه ؟

أزرد (بيرت) لعابه في صعوبة ، وهو يتمتم :

- مطلقاً .. لم أسمع اسمه قط .

تبادل (هاتكس) وزميله نظرة ساخرة ، قبل أن يقول
الأخير ، وهو يلتقط ورقة من ملف (بيرت) ، ويتطلع
إليها في هدوء :

- عجباً !.. كيف يتفق هذا مع المحادثة الهاتفية ،

التي أجريتها معه ، في أثناء محاولة الفرار ؟ .. وفي
الوقت الذي يفترض تواجدك فيه لقيادة رجالك ؟

شحب وجه (بيرت) بشدة ، وهم بقول شيء ما ،
ولكن (هاتكس) أشار بسبائته ، مستدرِكاً في حزم :

- مع ملاحظة أن القاتون يحتم تسجيل كل المحادثات ،
التي تتم من هواتف السجن ، كإجراء أمني .

ثم مال نحوه ، مضيفاً في صرامة :

- وهذا يعني أن لدينا نص الحديث كله .

امتقع وجه (بيرت) ، وزاغت عيناه ، وبدأ كما لو
أنه سيفقد وعيه من شدة الاضطراب ، قبل أن يتمتم في
شعوب :

- لم أكن أعلم هذا .. ولكن .. ولكن ..

سأله (هاتكس) صارماً :

- ولكن ماذا يا (بيرت) ؟

اصطبغت عينا (بيرت) بالاحمرار ، كما لو أن الدماء
تتدفق فيها بغزارة ، وخفض وجهه في مرارة ، متمتماً :

- هل يمكنني عقد اتفاق ما ؟

تألقت عينا (هاتكس) في ظفر ، وتراجع متبادلاً
نظرة سريعة مع زميله ، قبل أن يقول :

- أى نوع من الاتفاقيات ؟

أجابه (بيرت) بلهجة أقرب إلى البكاء :

- سأعترف بكل شيء .. كل شيء .. وسأعاون معكم
فى كل ما تأمروننى به ، فى مقابل اعتبارى شاهد ملك .
تضاعف بريق النصر فى عيني (هاتكس) ، وهو يقول :
- يمكننا أن نفكر فى هذا الأمر .

لم يكذ ينطق عبارته ، حتى فتح أحد زملائه الباب ،
وقال فى انفعال :

- يبدو أن (أدهم صبرى) قد ظهر ثانية يارجال .

هتف (هاتكس) ، وهو يهبط من مقعده فى لهفة :

- أين ؟

أشار الرجل بمسبأته مجيباً فى انفعال :

- تلقينا بلاغاً عاجلاً عن معركة بالصواريخ عند الاستاد
الأوليمبى فى (نيوارك) .. هل يمكنك أن تتصور شخصاً
آخر ، يمكنه القيام بهذا ؟

تبادل (هاتكس) مع زميله الأول نظرة مفعمة
بالانفعالات ، قبل أن يقول للتأتى بلهجة أمره حازمة :

- فليكن .. سنذهب إلى هناك على الفور ، أما أنت

فواصل استجواب زميلنا (بيرت) ، فلديه اعتراف خاص

سيدلى به .

سأله (بيرت) فى لهفة :

- أيعنى هذا أنك قبلت الاتفاق ؟

أجابه (هاتكس) ، وهو يندفع مع زميله خارج الحجرة :

- بالتأكيد .

وعندما اندفعا عبر الممر الطويل ، الذى يقودهما إلى
خارج المبنى ، سأله زميله ، وهو يرتدى سترته على
عجل :

- لم أكن أعلم أن القاتون ينص على تسجيل كل
المحادثات الهاتفية فى السجن ! .. أوجد بالفعل قاتون
كهذا ؟

أجابه (هاتكس) فى اقتضاب ، وهو يدلّف إلى السيارة
الخاصة بالجهاز :

- كلاً .

ابتسم زميله ، وهو ينطلق بالسيارة ، فى حين حاول
(هاتكس) أن يسترخى فى مقعده ، وهو يسترجع
الأحداث فى ذهنه منذ البداية ..

ولكنه ، ومهما حاول ، لم يكن باستطاعته قط معرفة
حقيقة الأمور ..

★ ★ ★

فالواقع أن كل هذا قد بدأ بمحاولة من (السنيورا) ،
زعيمة منظمة (الأفعى) الجديدة ، للتخلص من (أدهم

صبرى) ، فى أثناء وجوده فى (نيويورك) ، للاطمئنان على الموقف الصحى لزميلته (منى توفيق) ، الواقعة فى غيبوبة عميقة منذ وقت طويل (*) ..

وفى سبيل هذا ، تعاقدت السنيورا مع اتحاد القتل المحترفين ، ويرأسه (توماس كلارك) ، ودفعت رجالها لاختطاف السفير المصرى فى (واشنطن) ، لتجبر (أدهم) على البقاء فى (أمريكا) لأطول فترة ممكنة ، حتى يستعد (توماس) رجاله للقضاء عليه ..

ودون أن يدرك (أدهم) بما يدور خلف الكواليس ، انطلق مع زميلته الجديدة (جيهان) بخوضان معارك شتى ، للتوصل إلى السفير المختطف ، وتأزرت ضدهما كل القوى ، من القتل المحترفين ، والمباحث الفيدرالية الأمريكية ، وفريق من قتل المخابرات الأمريكية ، بقيادة الجنرال (جيمى تورنسول) ، الذى ذاق على يدى (أدهم) هزيمة ساحقة فى (سويسرا) (**).

وتداعت الأحداث فى سرعة ، ليجد (أدهم) نفسه مضطراً للتضحية بنفسه ، لإنقاذ (قدرى) و (منى) ، حتى انتهى به الأمر كسجين احتياطى فى سجن

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم ١٠٠

(**) راجع قصة (عقارب الساعة) .. المغامرة رقم ١٠٥

(نيويورك) المركزى ، حيث تعرض لمحاولة قتل عنيفة فى زنازنته ..

وينجو (أدهم) من محاولة الفرار ، ولكنه يفاجأ بخبر اختطاف زميلته (منى) ، على الرغم من غيوبتها ، فينطلق كالليث الثائر لاستعادتها ، وينتقل الصراع إلى مرحلة أكثر عنفاً ووحشية ، و (أدهم) يصارع للفرار من السجن ، ويواجه القتل المحترفين الذين يسعون لقتله بلا رحمة أو شفقة ..

وتتطور الأمور أكثر وأكثر ، فيحاصر اتحاد القتل (أدهم) و (جيهان) عند تمثال الحرية ، وتدور معركة وحشية ، ينجو خلالها (أدهم) بأعجوبة ، ويواصل صراعه حتى يتمكن من تحرير السفير المصرى وزوجته ، ويواجه مرة أخرى المباحث الفيدرالية بقيادة (دين هاتكس) ، ثم يحسم الأمر بضربة بارعة ..

وأخيراً يتفرغ (أدهم) للبحث عن (منى) ، ولأول مرة ، يجذب هو من تبقى من اتحاد القتل إلى فخ محكم ، ولكنهم يواجهونه بهليوكوبتر تطلق نحوه الصواريخ ، فيحتكم القتال ، ويلقى (توماس كلارك) مصرعه على يد زميله (بل هايدن) ، فى نفس الوقت الذى يجد (أدهم) نفسه فيه فى مواجهة آخر قتل المخابرات ، وهو يهاجمه بأحدث الأسلحة التجريبية للجيش الأمريكى ..

مشروع (السوبرمان) ..

وفي نفس اللحظة ، التي واجهت فيها (جيهان) خطر الموت ، على يد القاتل المحترف (ألفريد جاكسون) ، كان (أدهم) يواجه ترساة أسلحة كاملة ، فيما بدا كمواجهة فريدة .
ورهيبة(*) ..

★ ★ ★

انطلقت ضحكة القاتل المحترف (ألفريد جاكسون) تجلجل في مدخل النهاية الفاخرة ، المظلة على الإستاد الأولمبي (كارلستاد) ، وهو يصوب مدفعه الآلى القصير نحو (جيهان) ..

وانطلقت رصاصاته بلا رحمة ..

وأمام عينيه مباشرة ، أصاب سيل الرصاصات جسد (جيهان) ، واقتلعها من مكانها ، ودفعها ما يقرب من المترين إلى الخلف ، قبل أن تسقط إلى جوار الجدار ، وتهمد حركتها تماماً ..

ومرة أخرى ، أطلق (جاكسون) ضحكته المجلجلة ، وهو يتجه نحو (جيهان) ، قائلاً في سخرية :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة الأولى (الأنقى) .
(ستاد القتل) ، (الفتح) .. للمغامرات أرقام ١٠٩ و ١٠٧ و ١٠٨

- كان ينبغي أن تدركي أن الموت هو مصير كل من يتحدى (جاكسون) .

ولكن فجأة ، هبت (جيهان) واقفة على قدميها ، وهي تقول بسخرية أكثر :

- ومن أدراك أنه ليس مصير (جاكسون) نفسه .

اتسعت عينا (جاكسون) ، وتراجع كالمصعوق ، وحاول أن يرفع فوهة مدفعه الآلى ، ليطلق النار عليها ثانية ، ولكنها استلّت مسدسها بسرعة ، وهي تهتف :

- لا تحاول أيها الوغد .. لقد استوعبت الدرس .
وانطلقت رصاصاتها ، مع استطرادتها الصارمة :

- على الرأس مباشرة .

اخترقت رصاصاتها رأس (جاكسون) ، ودفعته إلى الخلف في عنف ، ليرتطم بالجدار في قوة ، ثم يسقط جثة هامدة ، والدماغ تسيل من رأسه المحطم في غزارة ، فمطت هي شففتيها ، ونفخت الدخان المتصاعد من فوهة مسدسها ، قبل أن تعيده إلى غمده ، وتربّت على معطفها القصير ، قائلة :

- كان ينبغي أن تدرك أنك لست الوحيد ، الذي يرتدى سترة واقية من الرصاصات .

قالت لها ، وغادرت المكان فى خطوات سريعة ، لتحلق
ب (أدهم) عند الاستاد الأوليمبى (كارلستاد) ..

ولم تكد تغادر المبنى ، وتتجه إلى هناك ، حتى انعقد
حاجباها فى شدة ، وسرت فى جسدها موجة من التوتر
العنيف ، وهى تتطلع إلى سيارات الشرطة والإطفاء
والإسعاف ، التى تتطلق نحو الاستاد ، فى نفس الوقت
الذى دوى فيه داخله انفجار عنيف ..

وفى عصبية ، غمضت :

- رياه !.. ترى ما الذى تواجهه هناك يا (أدهم) ؟
لم تكن تدرك ، وهى تتطق عبارتها ، أن (أدهم
صبرى) يواجه أعنف خصم فى حياته كلها ، فى تلك
اللحظة ..

يواجه (جاك) ، القاتل المحترف فى صفوف
المخابرات ، داخل أقوى وأحدث الأسلحة الأمريكية ..
مشروع (السوبرمان) ..

وكانت مواجهة رهيبية بالفعل ..

فعندما أطلق (جاك) صاروخه الأول ، كان يتصور أن
المواجهة على هذا النحو ، لن تستغرق أكثر من لحظة
واحدة ، ينسف خلالها الصاروخ (أدهم) ، ويحوّكه فيها
إلى أشلاء متناثرة ..

ولكن (أدهم) وثب إلى الخلف فى خفة ، عندما لمس
الصاروخ من طرف عينه ، فتجاوزه لينفجر عند سور
الاستاد ..

وعندما التفت (أدهم) إلى (جاك) ، كان هذا الأخير
يصوب إليه قاذفة لهب فى ذراع زيه القتالى المتطور ،
وهو يقول بصوت عميق ، يأتى من خلف خوذته
الكبيرة :

- أخيراً للتقىنا أيها المصرى .

كان (جاك) يتوقع جمود (أدهم) ، أمام تلك المفاجأة
المذهلة ، وأن قاذفة اللهب ستحسم الأمر على الفور ،
فضغط زر إطلاقها ، وهو يضيف :

- وسنفترق على الفور ..

ولكن (أدهم) استوعب المفاجأة كلها فى لحظة
واحدة كالمعتاد ، واستوعب ذلك الموقف العجيب فى
جزء من الثانية ، على الرغم من أنه لم يواجهه من قبل
قط ، فوثب يتجاوز صفًا من المدرجات ، فى نفس
اللحظة التى انطلقت فيها أسنة اللهب ..

وعلى الرغم من أنه قد احتمى بالمدرجات فى اللحظة
المناسبة ، ومن أن أسنة اللهب ارتطمت بها وليس به ،

إلا أنه شعر بالحرارة تلفحه في عنف ، وسمع (جاك) يقول في غضب ، وهو يتجه نحوه :
- لن يمكنك أن تفرّ إلى الأبد .

برز (أدهم) من مكنه ، وأطلق رصاصتين نحو خوذة (جاك) ، هاتفا :
هذا يتوقّف على مفهومك لكلمة (الأبد) .

ارتطمت الرصاصتان بالخوذة ، ثم ارتدتا عنها في عنف ، وأطلق (جاك) ضحكة ساخرة ، هاتفا :
.. لا تحاول أيها المصري .. الخوذة والزى كله مقاومة للرصاصات ، فهي مصنوعة مع الزى من نسيج خاص ، يفوق (الكيفلار) (*) ألف مرة .
ثم صوب أصابع قفازه الضخم نحو (أدهم) ، مستطرذا في صرامة :

- هذا بالإضافة إلى ترسانة لا تتضب من الأسلحة .
انطلق (أدهم) يعدو بكل قوة ، في خط متعرج للغاية ، ومن خلفه دوت الرصاصات التي انطلقت من أصابع قفاز (جاك) ..

(*) الكيفلار : نسيج صناعي خاص ، يستخدم لصنع الدروع المضادة للرصاصات ، حيث إنه شديد المقاومة للصنمات ، وخفيف الوزن ، وجم الصلابة .

وكان من الواضح أنها أيضا ليست رصاصات عادية ..
لقد انفجرت خلف (أدهم) كعشرات القنابل الصغيرة ، وجعلته يلهث في شدة ، وهو يركض محاولا تفاديها ، قبل أن يقفز خلف لوحة إعلانات كبيرة ، أصابت الرصاصات أطرافها ، وسحقت هذه الأطراف سحقا ، قبل أن يهتف (جاك) :
- جميل منك أن حدثت موقعك .

وفي نفس اللحظة ، التي وثب فيها (أدهم) من خلف اللوحة ، أطلق (جاك) نحوها صاروخا ، انفجر بدوى هائل ، وأحدث انفجاره موجة تضغط عنيفة ، دفعت (أدهم) أمامها ثلاثة أمتار كاملة ، قبل أن يسقط أرضا ، ويتكحرج فوق المدرجات إلى ساحة استاد ..

كانت كل خلية في جسده تصرخ بالألم ، وكان مصابا بجرح في جبهته ، وبرضوض شتى في صدره وضلوعه ، مع إصابة مدية (هايدن) في فخذه اليمنى ، والرصاصات التي اخترقت ذراعه اليسرى ، وعلى الرغم من هذا فقد هبّ واقفا على قدميه فور سقوطه ، وانطلق يعدو نحو إحدى مقصورات المشاهدين ، في حين ضغط (جاك) زرّا في حزامه ، فانطلقت من خلف ظهره صواريخ

محدودة ، جعلت جسده يرتفع عن الأرض ، ثم يطير
مندفعاً نحو (أدهم) ، وهو يقول في شراسة :

- لن تجد شبراً واحداً للاختباء .

وثب (أدهم) نحو مقصورة المشاهدين ، قبل أن
يلحق به (جاك) بثانية واحدة ، فارتفع هذا الأخير
بجسده عالياً ، وهو يلوح بقبضته ، صارخاً :

- لن يقلح هذا أبداً .

كان (أدهم) يدرك أن خصمه محق إلى حد ما ، فمع
ذلك الفارق الرهيب في القوة ، تنخفض احتمالات فوزه
أو نجاته إلى ما يقرب من الصفر ..

إلا إذا ..

وثبت العبارة الأخيرة إلى ذهنه ، في نفس اللحظة
التي وقع فيها بصره على جثة (ويلى) ، والمدفع
المحمول الذي يتشبث به ..

وبسرعة مذهلة ، راجع (أدهم) كل معلوماته عن
هذه المدافع المحمولة الحديثة ..

إنها تختلف عن طرازاتها السابقة في كونها تحوى
مخزناً خاصاً ، يمكنه أن يستوعب أربعة صواريخ دفعة
واحدة ، بحيث يطلقها المدفع صاروخاً بعد الآخر ..

و (ويلى) لم يطلق تلك الصواريخ الأربعة حتّى ..
وهذا يعنى أنه مازال لديه مخزون من الصواريخ في
مدفعه ..

ولو استطاع (أدهم) الوصول إلى ذلك المدفع ،
فربما ..

نعم .. ربما ..

وكعادة (أدهم) ، لم يضع جزءاً من الثانية ، ما بين
التفكير والتنفيذ ، فقفز من موضعه على الفور ، على
الرغم من ذلك الخصم الطائر ، الذى يندفع نحوه ،
وانطلق بأقصى سرعته نحو (ويلى) ومدفعه ..

وصاح (جاك) في غضب :

- لن تغتلب هذه المرة ..

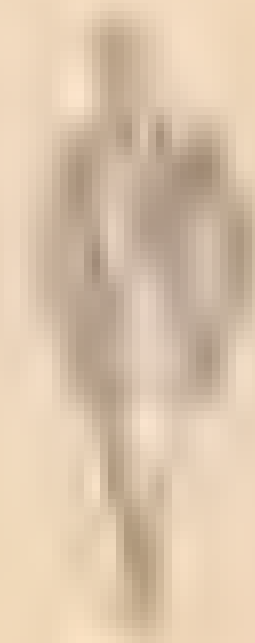
وانطلق صاروخه نحو (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير
وثب وثبة مذهشة إلى الأمام ، تجاوزت الأمتار الأربعة ،
فانفجر الصاروخ خلفه ، وقذف به الانفجار لثلاثة أمتار
كاملة ، قبل أن يسقط على قيد أمتار خمسة من جثة
(ويلى) ومدفعه ..

ولكن (جاك) استدار نحوه في سرعة ، وهتف :

- قلت لك : لن تغتلب ..

وفي هذه المرة ، كان (أدهم) يرقد في منطقة عارية
تماماً ، والمسافة التي تفصله عن الوسيلة الوحيدة
للنجاة أطول مما ينبغي ، وخصمه (السوبرمان)
يصوب إليه صاروخاً جديداً ، و ..
ولم تعد النجاة ممكنة هذه المرة .
لهداً .

★ ★ ★



٢ - الانفجار الأخير ..

مطّر رئيس الشرطة المكسيكي شفّيته في أسف
مصطنع ، وهو يقف أمام بقايا كوخ (جان زوكرمان)
المحترق . وهز رأسه متظاهراً بالأسى ، وهو يقول

لرئيس فريق الإطفاء :

- يالها من كارثة من الواضح أنكم وصلتم بعد
فوات الأوان ، فالكوخ تحول إلى كومة من الأطلال
المحترقة ، وأخشى أن يكون ذلك الأمريكي المسكين قد
قضى نحبه داخله .

أجبه رئيس فريق الإطفاء في ضيق :

- إتينا لم نتأخر ياسيدي لقد وصلنا بعد اثنتي
عشرة دقيقة بالضبط من تلقى نداء الاستغاثة ، الذي
أطلقه أحد الصيادين ، عندما لمح النيران بالمصادفة .
في أثناء رحلة صيد قريبة من هنا .

عقد رئيس الشرطة حاجبيه ، وقال في توتر :

- لحد الصيادين ؟ من هو ؟ . أريد بياناته كمئة

هز رئيس الإطفاء رأسه ، قائلاً :

- ليست لدينا أية بيانات عنه . لقد أبلغنا بالامر ،
وانتهى الاتصال على الفور .

صاح رئيس الشرطة فى غضب :

- وكيف تهملون الحصول على بياناته ؟ .. كيف
تتركونه يرحل هكذا ؟

بدت الدهشة فى وجه رئيس الإطفاء وصوته ، وهو
يقول :

- وماذا فى هذا ؟ . المهم أن نلبى النداء ، لا أن
نحصل على بيانات المبلغ .

بدا التوتر على رئيس الشرطة ، وهو يقول فى
عصبية :

- ولكن ماذا لو .. ماذا لو .. لو أنه المسنول عن
إشعال الحريق ؟!

تطنّع إليه رئيس الإطفاء فى شيء من الحيرة والقلق ،
وهو يجيب :

- وهل كن سيطلق نداء الاستغاثة والحال هكذا ؟
انعتقد حاجبا رئيس الشرطة فى شدة ، وهو يتطنّع إلى

الحطام الاسود ، وقبل أن تتصاعد موجة الغضب فى
اعماقه ، سمع صوت المفش (بابو) من خلفه ، يقول

- رباه ! .. لقد احترق الكوخ عن آخره .

التفت إليه رئيس الشرطة فى سرعة ، وهتف محدثاً :

- (بابو) .. أين كنت يا رجل ؟!

أجاب (بابو) فى سرعة :

- لقد أتيت فور معرفتى بالامر ياسيدى .. ولكن قل

لى : هل أصيب السنيور (زوكرمان) فى هذا الحريق
المروع ؟

قال للرئيس فى توتر :

- أعتقد هذا .. ولكن دعك من التفكير فى الأمر الآن .

فرجال المعمل الجتائى مسيتأكدون منه فى غضون
ساعات محدودة ، المهم أن لدى مهمة لك الآن .

ثم جذب جاتبا ، وقال فى انفعال هامس :

- اسمعنى جيداً .. لقد أطلق أحد الصيادين نداء

الاستغاثة ، وهذا يعنى أنه رأى النيران ، أو الحادث
نفسه .

أدرك (بابو) مايشير إليه رئيسه ، ولكن تظاهر

بالغباء ، وهو يسأل :

- وماذا فى هذا ياسيدى ؟!

انعتقد حاجبا الرئيس ، وقال فى عصبية :

قلت لك : اسمعنى جيداً ، ولا أريد أية تعليقات حتى
أنتهى .. لقد أطلق ذلك الصياد النداء ، دون أن يدلى
ببياناته ، وربما يعنى هذا أنه رأى شيئاً يخشى الإفصاح
عنه .. والمطلوب منك أن تبحث عن هذا الصياد ..
راجع تراخيص الصيد ، واستجوب حراس الغابة ، أو
اعتقل حتى كل صياد فى المنطقة كلها ، المهم أن تجد
ذلك الرجل ، وتعرف ما الذى رآه بالضبط .. هل تفهمنى
يا (بابلو) ؟

أوما (بابلو) برأسه فى هدوء ، وهو يقول :
- تمام الفهم يا سيدى .

ثم اعتدل ، واستطرد فى حزم :

- والآن اسمع لى بالانصراف ، ننفذ أوامرك .
لوح الرئيس بيده ، قائلاً :

- بالطبع . بالطبع انصرف يا (بابلو) ، وابذل
قصارى جهدك للنجاح فى هذه المهمة . هيا .
استدار (بابلو) لينصرف ، وقد حمئت شفاته ابتسامة
ساحرة كبيرة ، ولم يكذب بعد بمسافة كافية ، حتى تمتم :
- اه لو تعرف أن الصياد الذى تبحث عنه لا وجود له
على الإطلاق .

قاتها ، وعفته يسترجع تفاصيل تلك اللحظة ، التى
أطلق فيها نداء الاستغاثة . كجزء من خطة طويلة ، قرر
أن يتصدى من خلالها للفساد الذى استشرى فى جهاز
الشرطة المكسيكى ..
وكن هذا يعنى أن يخوض أعنف معركة فى حياته
كلها .

معركة لمواجهة رئيس الشرطة ..

ومن وراء رئيس الشرطة ..

وهنا يكمن الخطر الحقيقى ..

كل الخطر ..

★ ★ ★

« ربااه ! .. ما هذا للشىء ؟ .. »

انطلقت تلك الصيحة من بين شفتى رجل الشرطة ،
الذى هرع مع ثلاثة من رجاله إلى ساحة الاستاد ،
لمعرفة سبب هذه الانفجارات ، وهو يحثق ذاهلاً فى
(جاك) ، الذى يحثق بزي (السوبرمان) على ارتفاع
ثلاثة أمتار من سطح الأرض ، ويستعد لإطلاق صاروخه
نحو (أدهم) ..

ومع تلك الصيحة ، انفتحت إليه (جاك) بحركة حادة ،
فى نفس اللحظة التى انطلق فيها صاروخه .

ووثب (أدهم) جانباً بكل قوته ..

وعلى مسافة مترين فحسب منه ، انفجر الصاروخ
ومع الانفجار العنيف ، طار جسد (أدهم) في الهواء
لخمس أمتار كاملة ، في اتجاه مضاد لجهة (ويلي) ، ثم
سقط مرتطمًا بالأرض في عنف ، في نفس الوقت الذي
راح رجال الشرطة الأربعة يطلقون فيه رصاصاتهم نحو
(جاك) ، ورئيسهم يهتف في مزيج من الدهول والارتياح :
- أي شيء هذا بالضبط ؟! . مخلوق لعين من الفضاء
الخارجي ؟!

التفت إليهم (جاك) بجسده كله ، وهو يهتف غاصب :
- ابتعدوا أيها الأغبياء . إنني أريد ذلك الرجل فحسب .
ولكنهم واصلوا إطلاق النار عليه ، وقد انضم إليهم
اثنا عشران ، صاح الرئيس بأحدهما :
- اطلب نجدة يا رجل لقد رأيت كيف انطلقت منه
تلك الصواريخ !

صرخ (جاك) في غضب :

- فليكن .. أنتم أردتم هذا .

وبكل غضبه ، أطلق نحوهم رصاصات قفازه ، متجاهلاً
حقيقة كونه أحد رجال المخابرات ، وليس أحد رجال
العصابات ..



ومع الانفجار العنيف ، طار جسد (أدهم) في الهواء
لخمس أمتار كاملة ، في اتجاه مضاد لجهة (ويلي) ..

وأصابت رصاصات رجل المخابرات رجال الشرطة ،
وحصدت اثنين منهم ، وأصابت الثالث بجراح مَعْدُنة .
مما جعل الباقين يطلقون رصاصاتهم في عصف أكثر .
وهم يعدون للاحتماء بأي سائر ممكن ، وأحدهم يصرخ
طالباً الإمدادات ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكي ..

أما (أدهم) . فقد استلقى جسده على الأرض فاقد
الوعي والاتزان لدقائق ، قبل أن ينتفض في عصف ،
وينطلق إلى المعركة الدائرة . بين (جاك) ورجال
الشرطة ..

كانت الآلام تنتشر في كل شبر من جسده وبخاصة
حول أصابات ضلوعه وفخذه وذراعه ، كما ارتطمت
عشرات الشظايا الصغيرة بظهره . مع انفجار الصاروخ ،
ومزقت معطفه ، وأصابته بالعديد من الكدمات والسحجات ،
التي تنفلى الآلام لا تهر أي شخص عادي

ولكن ليس (أدهم) ..

ليس (رجل المستحيل) ..

لقد استنفذ كل إرادته وقواه ، لينهض من سقطة ،
ودفع قدميه دفعا نحو حثة (ويلى) ، محاولاً التقاط
مدفعه لصاروحي . ولكن (جاك) استدار إليه في اللحظة
نفسها ، صاروخاً :

- فكت لك : لن تفلح .

ومرة أخرى ، أطلق نحوه صاروخاً جديداً .
وفي هذه المرة ، تفجر الصاروخ على مسافة متر واحد
من (أدهم) ، الذي وثب إلى الأمام محاولاً تفاديه ..
وكانت الآلام رهيبة بحق ..

لقد دفعته موجة الانفجار إلى الأمام في عصف ،
واحترق ظهر معطفه مع لفحاته النارية ، واخترقت
شظية ساقه اليسرى ، وهو يطير إلى الأمام ، ثم يهوى
ليرتطم بالأرض ، ويتدحرج فوقها في شدة ..
وتألفت عينا (جاك) ، وهو يهتف :

- هيا .. قل وداعاً لهذه الدنيا يا رجل .

قائماً ، وهو يصوب آخر صواريخه إلى (أدهم) ،
متجاهلاً رصاصات رجال الشرطة ، الذين أصابهم اليأس
والذعر ، مع ارتداد رصاصاتهم عن زينة المقوى ، وبدأ
لهم أن ذلك الرجل ، الذي يصوب إليه (جاك) صاروخه
هالك لا محالة ، و ..

ولكن فجأة ، دفع (أدهم) جسده دفعة أخيرة ، ووثب
قراءة المترين إلى الأمام ، ليلتقط المدفع الصاروخي من
يد (ويلى) ، الذي دفعه الانفجار الأخير إليه ، ثم يدور
حول نفسه ، صاروخاً :

- خذها مني أيها الوغد ..

وقبل أن يطلق (جاك) صاروخه بنصف الثانية .

انطلق صاروخ (أدهم) ..

واتسعت عينا (السوبرمان) الأمريكى ، وهو يصرخ :

- لا .. ليس الصاروخ .

ثم دوى الانفجار ..

وفى هذه المرة ، كالانفجاراً بشعاً بحق

لقد أصاب الصاروخ هدفه . فى منتصف تمام ، ثم

انفجر معه بمنتهى العنف ..

وعلى مساحة واسعة ، تآثرت دماء (جاك) وأشلائه .

مع بقايا مشروع (السوبرمان) . واستمر الدوى لثانية

أو ثانيتين ، والدماء تمطر على الجميع ، قبل أن يسود

صمت رهيب . ورحال الشرطة يحدقون فيما حدث .

وفى تلك البقعة الحمراء الكبيرة . التى غطت جزءاً من

أرض الاستاد . أسفل المكان الذى كان يخلق فيه

(السوبرمان) بالضبط .

ثم شق (أدهم) ذلك الصمت المهيّب . وهو يلقي

المدفع جانباً ، ويقول :

- أنت خسرت أيها الوغد .

قاتلها . ثم انهار جسده دفعة واحدة ، وهوى فاقد
الوعى . وكأنما استنزف ذلك الصراع كل طاقته حتى
الفراغ ..

وفى دهشة . حدق رجال الشرطة الباقون فيه . ثم
اندفعوا نحوه . وانحنى رئيسهم بفحسه . فى حين هتف
أحد رجاله :

- رباه ! لقد تعرفت هذا الرجل انه (تيم بارتون)

رجل المخبرات .. لقد رأيت صورته على شاشة

(التليفزيون) . يا إلهي ! .. هل لقي مصرعه ؟!

أجابه رئيسه فى الفعل :

- كلاً .. إنه حى . لقد فقد وعيه فحسب

وفى نفس اللحظة . التى نطق فيها عبارته . كانت

سيارة (هاتكس) تتوقف أمام الاستاد الأولمبى . وقفز

هو منها ، وهو يبرز شارته ، هتفا :

- أفسحوا الطريق أيها السادة .. أنا المفكش (هاتكس) ..

من المباحث الفيدرالية .

اتعقد حاجباً (جيهن) فى توتر شديد . عندما رآته

يهرع إلى الاستاد ، وغمضت :

- يبدو أن الأمور ستتعدّ ثانية .

ثم تحركت في خفة . ودارت حول الاستاد . ووثبت
تتعلق بحاجز جنسى له . قبل أن تقفز إلى الداخل ،
وتتسلل في سرعة إلى ساحته ..

ومن مكميها ، رات (جيهان) (هاتكس) ينحنى
ليفحص (أدهم) ، ورجل الشرطة يقول له في حماس
وأنفعال :

- كان ينبغي أن ترى ما حدث . لتدرك عظمة ما فعله
هذا البطل ، قبل أن يفقد وعيه . لقد هاجمنا ذلك
المحتوى الفضائي . وكاد يفتك بنا جميعا . ولكن مستر
(بارتون) قفز بخنطف المدفع . و .

قاطعه (هاتكس) في خشونة :

- أي مستر (بارتون) ؟

أشار الشرطي إلى (أدهم) ، هاتفا :

- (تيم بارتون) رجال محبراتنا البطر . ألم ترد
على شاشات (التليفزيون) يا رجل ؟ " به انتهى " لم
أكن اصديق بطولاته التي يروونها ، حتى رأيت ما يفعله
بنفسى ، و ...

قاطعه (هاتكس) مرة أخرى في خشونة أكثر . تفوح
منها رائحة الفضب :

- اصمت يا رجل . واستمع سيارة اسعاف بسرعة

اعتزل رجل الشرطة . وقال في حزم :

- لقد استدعيتها بالفعل .

ثم استدعا حمسته ، وهو يضيف :

- هل كنا سنترك البطل فقد الوعي هكذا ؟

التقى حاجبا (هاتكس) في غضب شديد . وهو

يتمتم :

- البطل ؟ .. اللعنة !

سأله الشرطي :

- ماذا تقول يا سيدى ؟

أجابه (هاتكس) في عصبية :

- لا عليك . سننتظر جميعا هنا ، حتى تصل سيارة

الاسعاف .

نم يكذب يتم عبرته . حتى اتسح صوت بوق سيارة

الاسعاف . انتهى تقرب من المكان ، فهتف رجل

الشرطة :

- ها هي ذى .

سرت في جسد (جيهان) موجة عارمة من التوتر .

مع وصول سيارة الاسعاف . وغمغت في عصبية

- لا لا ينبغي ان اسمح ليم يتفاء القبض عليه

ثانية .. إتني أفضل الموت على هذا .

قنتها وعادت أدراجها بأقصى سرعتها إلى خارج المكان . ودارت مرة أخرى حول الأستاذ . حتى بلغت النقطة التي توقفت عندها سيارة الإسعاف . وراة رجنين ينهضان منها . وهما يحملان محفلة كبيرة . ويهرعن إلى داخل الأستاذ . في حين ظل السائق داخلها . متعبا لا تطلق . فانهقد حاجباها في شدة . وراح عقلها يبحث عن وسيلة لإنقاذ (أدهم) من قبضة (هاتكس) ..

ثم برزت الفكرة في رأسها بقة ..
واستوعبها عقلها في سرعة ..
واقنع بها ..

ووضعها موضع التنفيذ . دون إضاعة لحظة واحدة ..

وفي نفس اللحظة . التي بدأت فيها تحركها . كان (هاتكس) يراقب رجل الإسعاف . وهم يبقون (أدهم) الفاقد الوعي على محفتهم . قائلا في صرامة :

- سيصحبكم زميني هذا في سيارة الإسعاف . وسيقتل أبوابها من الدخول بمنتهى الإحكام . إنه احراء أمنى حتمى .

هتف رجل الشرطة بكل حماسه :

- والتأكيد .. لابد من حماية البطل .

عض (هاتكس) شفتيه غيظا وعضبا . وصرخ في رجلى الاسعاف مفرغا كل عصبية وتوتراته :

- هيا .. أسرعا بالله عليكما .

أسرع الرجلان ينقلان (أدهم) إلى سيارة الإسعاف . في حين قال (هاتكس) لزميله في صرامة . وهما يتجهان بدورهما إلى الخارج :

- لا تسمح لأحد باستعادة (أدهم صبرى) قط . لقد أوقعه الحظ بين أيدينا هذه المرة . ولا يمكن أن نضمن تكرار المصادفة . ابذل قصارى جهدك يارحل . إنه فرصتنا الأخيرة لاستعادة سيطرتنا على الموقف . وربما تكون الـ ...

لم يكن قد أتم عبرته بعد . او بلغ مع زميله سيارة الإسعاف . التي استقر داخلها رجلا الإسعاف مع (أدهم) الفاقد الوعي . عندما انطلقت السيارة بقة . وبسرعة كبيرة . وقامت بمناورة مذهشة . لتتجاوز اثنتين من سيارات الشرطة . واطاراتها تطلق صريرا عنيقا . فاتسعت عينا (هاتكس) . وهتف في حدة :

- النعنة ! ما الذى يفعله هذا السائق الـ

بتر عمارته دفعة واحدة . واتسعت عيده أكثر وأكثر . وهو يحدق في سائق الاسعاف . الذى وضعه أحدهم

فأقد الوعي ، إلى جوار سور الاستاد ، وصرخ في غضب شديد ، وهو يدعو نحو سيارته :

- خدعة ! .. لقد خدعونا . أسرع يا رجل .

قفز مع زميله إلى سيارتهما ، وانطلقا بها خلف سيارة الإسعاف ، ورجل الشرطة خلفهما متبع العينين في دهشة ، ويضغم في حيرة :

- خدعة !؟ .. هل اختطفوا البطل !؟

ثم تفجر الغضب في أعماقه ، وصرخ برجاله ، وهو يقفز داخل سيارته بدوره :

- أسرعوا يا رجال دعونا ننقذ بطلنا .

وفي المرأة الجانبية لسيارة الإسعاف ، رأت (جيهان) سيارة (هاتكس) وسيارتين من سيارات الشرطة تطاردهما في إصرار ، وأدركت وهي تطلق العنان للسيرة ، داخل شوارع (نيو أرك) ، أن هذه المطاردة ستكون أعنف مطاردة في حياتها كلها .

أغفلها على الإطلاق ..

★ ★ ★

صرخت كل خلية في جسد العفتش (هاتكس) بالغضب والسخط والثورة ، وهو ينطلق بسيارته خلف

سيارة الإسعاف ، وهتف بكل ما يمتل في نفسه من انفعالات :

- أراهن على أنها تلك اللعينة ، التي تحمل الجنسية السويسرية .. أراهن على أنها التي هربت بالسيارة .. كان ينبغي ألا نطلق سراحها قط .. تلك اللعينة ! .. تلك الحفيرة .

تطلع زميله في شك إلى سيارة الإسعاف ، التي تنطلق بسرعة مخيفة ، مطلقاً بوقها المميز ، وسط شوارع المدينة شبه الخالية ، في تلك الساعات من يوم الأحد ، وتابع تلك المناورات المعقدة التي تقوم بها ، للفرار من مطارديها ، قبل أن يهز رأسه ، متمناً :

- أنت واثق من أن فتاة مثلها يمكن أن تقود سيارة كبيرة ، يمثل هذه البراعة والانتحارية !؟

هتف (هاتكس) ، وهو ينحرف بسيارته بزاوية حادة ، محاولاً اللحاق بسيارة الإسعاف :

- بالتأكيد .. إنها زميلة ذلك الشيطان (أدهم صبرى) ، ومن المؤكد أنه لن يختار زميلة عادية .

كانت (جيهان) ، في تلك اللحظة ، تدور بالسيارة في عنف ، وتفتح بها أحد الشوارع الجانبية الضيقة ،

التي لا تكاد تتسع لمرورها ، ثم تنطلق بها وسط صفين
من السيارات على الجانبين ، فاتحرف (هاتكس) بسيارته
خلفها ، وارتطم بحدى سيارات الجانبين ، قبل أن ينطلق
خلفها ، وهو يطلق سيابا ساخط ، فهز زميله رأسه
ثانية ، وزفر متمف .

- عجباً !! .. أية فتاة هذه ؟!

وكان محققاً في دهشته هذه ..

لقد انطلقت (جهان) متجاوزة كل العقبات ،
ومتحدية كل العوامل المنطقية ، في سبيل الفرار من
مطارديها ..

وفي سبيل هدف آخر ، بدالها وكثته الغرض من
وجودها في هذه الحياة ..

في سبيل الرجل الذي أحبته ..

الرجل الوحيد في العالم اجمع ، الذي منحته قلبها .
هو الذي منح قلبها نفسه إليه طواعية ، على الرغم
من ثقته في أنه عارق حتى النخاع في حب سواه ..
نعم إنها تعلم جيداً ، وثق تماماً بأن (أدهم
صبرى) لم ولن يحب سوى زميلته القديمة (منى
توفيق) ..

ولكن هذا لم يعد يقضيها كالسابق .

بل لم يعد يقضيها إطلاقاً ..

إنها تحبه بكل كيانها وجوارحها ..

وستظل تحبه ، حتى آخر لحظة في عمرها .

حتى ولو لم يكن أبداً لها ..

وها هي ذى تثبت هذا عملياً ..

إنها تقاتل في سبيله مثمناً لم تفعل من قبل .

وربما أكثر مما كانت ستفعله . لو أنها هي المستهدفة

من المطاردة ..

لقد انطلقت عبر الشارع الضيق بسرعة مخيفة ، ثم

اتحرفت في نهيبته إلى اليمين بحركة عجيبة ، على

الرغم من أن مصارده الطيعي يتجه إلى اليسار .

ومن خلفها نوى صوت ارتطم و حدة من سيارتي

الشرطة بصف السيارات المتوقفة على جانب الطريق ،

وفي مرآتها رأت السيارة تثب في الهواء بثلاثة أمتار ،

قبل أن تسقط فوق عدد آخر من السيارات ، وتتدحرج

خلف سيارة (هاتكس) . الذي اتحرف خلفها بكل

سرعته ..

وفي عكس الاتجاه الطبيعي ، انطلقت (جيهان) بسيارة الإسعاف ، وانطلق خلفها (هاتكس) ، ومن خلفه ، وعلى مسافة كبيرة ، انطلقت سيارة الشرطة الثانية ..

وانحرفت (جيهان) ثانية بغتة ، وتجاوزت نهر الطريق بحركة مفاجئة ، على الرغم من صراخ إطلارات السيارات ، التي توقفت في عنف ، وانطلقت أبوابها مستكرة معرضة ..

ولأن الحركة مباغطة بالفعل ، لم يستطع (هاتكس) التوقف ، أو الدوران خلف سيارة الإسعاف في الوقت المناسب . فتجاوز المنطقة التي عبرتها (جيهان) ، قبل أن يضغط فرامل السيارة ، ويدور بها في حدة ، هاتفا :

- يا للعنة !

ولكن السيارات التي عادت تتدفق في نهر الطريق ، اعترضت مساره . فنوح بشارته صارخا :

- ابتعدوا أيها الأعياء . إنها مطاردة قاتونية .. ابتعدوا .

استغرق منه الأمر بضع دقائق للسيطرة على الموقف ، والانطلاق مرة ثانية مع سيارة الشرطة خلف

(جيهان) ، التي استغلت تلك الدقائق لتعمل بالسيارة في شارع آخر ، ثم توقفها ، ونقفز منها لتفتح بابها الخلفي ، وتلوح بمسدسها في وجهي رجلى الإسعاف ، هاتفة في صراعة :

- غادرا السيارة .. هيا .. لسرعا .

قفز الرجلان من السيارة ، وانطلقا يعدوان مبتعدين ، وهما لا يصنقان نجاتهما من قبضتها ، فألقت هي نظرة على (أدهم) ، الذي لم يستعد وعيه بعد ، وهمست في حنان دافق ، بدا عجيبا للغاية في مثل هذا الموقف :

- لا تقلق يا حبيبي .. لن ينالوا منك قط ، وأنا على قيد الحياة .

ثم أغلقت الباب في إحكام ، وعادت تقفز إلى مقعد القيادة ، وتتطلق ثانية بالسيارة .

ومن بعد ، لمحها (هاتكس) تدور حول الناصية ، فهتف بزميله :

- لقد أوقفنا بها يارجل .. إنها تتجه نحو شارع مغلق .

وفي نفس اللحظة التي نطق فيها بشارته ، كانت (جيهان) قد انتهت إلى هذه الحقيقة المفزعة ..

لقد أوقعت نفسها في فخ ، دون أن تدري ..

ولكن الحرم الشديد في أعماقها ، لم يسمح لها بالاستسلام ، حتى في مثل هذا الموقف العصيب .

لقد انحرفت حتى أقصى يمين الشارع ، ثم أدارت عجلة القيادة إلى اليسار في عنف ، فدارت بها السيارة بحركة حادة ، حتى أن إطاريها الأيمنين ارتفعوا عن الأرض لصعوبة سنتيمترات ، قبل أن يرتطم جانب السيارة بالأفريز المقابل ، ثم تنزلق ليرتطم جزء من مؤخرتها بالجدار ، قبل أن تنطلق مفجرة الشارع المغلق .. وفوجيء (هاتكس) بها بتفرض عليه ، وهو بهم بالدخول إلى الشارع ، فأنحرف بسيارته في سرعة ، صارخا :

- اللعنة !

ارتدعت سيارة الإسعاف بطرف سيارته في عنف ، قبل أن تنطلق خارج الشارع ، في حين دارت سيارته نصف دورة ، ثم نحج في السيطرة عليها ، والتوقف بها بعرض الشارع ، في نفس الوقت الذي فوجئت فيه سبيرة الشرطة بسيارة الإسعاف في مواجهتها مباشرة ، فأنحرف بها مسانقها بحركة حادة ، محاولا تفادي الارتطم المباشر ، فوثبت سيارته ، واحتك جانبها الأيمن

كنه بالجدار ، وهي تنطلق بسرعة كبيرة ، فتطيرت من الاحتكاك شرارات عنيفة ، قبل أن ترتطم المقدمة بسيارة جانبية ، وتميل سيارة الشرطة كلها على نحو مخيف ..

أما سيارة الإسعاف ، فقد انطلقت بها (جيهان) لتدور حول منطقة استاد الأولمبي ، فهتف (هاتكس) في سخط ، وهو يحاول الانطلاق بسيارته ثانية ، بعد أن توقف محركها :

- لقد خدعتنا هل لمحتها ؟! . كنت واثقا من أنها

هي .

ثم انطلق بالسيارة ، وهو يتفقد بوق جهاز اللاسلكي ،

مستطردا :

- هذا المسار الذي تتخذه ، يوحي بأنها في طريقها

إلى (جيرمي سيتي) نداء إلى كل سيارات الشرطة

نحن نطارد سيارة إسعاف ، في طريقها إلى (جيرمي سيتي) .

اعترضوا طريقها على الفور .. أكرر ..

لم تسمع (جيهان) هذا النداء ، الذي تردد في كل

سيارات الشرطة ، عبر موجة خاصة ، ولكنها أدركت

بحسب الأمان أن مطارديها سيدركون من مسارها أنها

تتحه نحو (جيرسى سبنى) . لذا فلم تكذ تتجاوز
الكوبرى العلوى . حتى انحرفت إلى اليمين ، وتجاوزت
الطريق للرسمى ، ثم إلى اليسار ، و ...

وقبلة . وجدت أمامها طفلة صغيرة . تلهو بدميتها
خلف مرلها . مطمسة إلى ان السيارات لاتأتى إلى هذا
المكان قط ..

وبكل قوتها . صغطت (جيهان) فرامل سيارتها .
ومالت بها إلى اليمين فى علف . وصرخت الطفلة فى
فزع ، و ..

ولقدت السيارة توازنها ..

وعلى الرغم من محاولتها المستمينة ، لم تتجح
(جيهان) فى استعادة سيطرتها على السيارة . التى
ارتفع جانبها الأيسر على نحو مخيف . ثم انقبت .
وراحت ترحل على جانبها الأيمن فوق العُصْب . قبل ان
تتوقف تماماً ..

ودون ان تمنح نفسها لحظة واحدة للاطمئنان على
موقفها . دفعت (جيهان) باب السيارة . وقفزت منها .
وارت حوثها وقتها يصرح فى ارتجاع
- رهاه ! .. (أدهم) .. (أدهم) ..

وفتحت باب السيارة الخلفى فى توتر شديد . وارتفع
حاجبها فى دهشة بالغة . عندما رأت (أدهم) أمامها .
ينفض فى تهالك . والدماء تنزف من جرح حبهته .
ولكنه . وعلى الرغم من هذا . يتنسم بشفتين مرهقتين .
وهو يتمم :

- أه . كان ينبغي أن ادرك أنه أنت ! من غيرك
يمكن أن يحول سيارة إسعاف إلى دبابه ؟ ..

قفزت داخل السيارة ، هاتفة

- حمدا لله على سلامتكم ..

استند إلى كتفها . وهو يحول الخروج من السيارة .
قائلاً فى سخرية :

- أعتقد أنى أول شخص فى العائم يستعيد وعيه .
عندما تنقلب به سيارة إسعاف احبرينى بزميلتى
العزیزة . من بطاردك بالضغط ؟ الجيش الأمريكى ؟
انفجرت شفتاهما لتحيب . عندما أظن وجه رجل وسيم .
له شارب كث . وعينان يطر منهما القلق والتهفة .
وهتفا :

- ماذا حدث ؟! .. أنتما بخير ؟!

كانت لهجته أمريكية تمام . إلا ان (أدهم) . وليسب ما .
أجابه بالعربية . وبلهجة مصرية خائصة .

- إتنا نم نمت على الأقل .

ارتفع حاجبا الرجل في دهشة ، وهتف بدوره بنهجة
مصرية :

- أنتما مصريان ؟

أشارت (جيهان) إلى سيارة (هاتكس) ، التي بدت
من بعيد ، وهي تجيب في لهفة وسرعة :

- إتنا من المخابرات المصرية .

انعقد حاجبا الرجل في شدة ، وبدت عليه علامات
الفهم السريع ، وهو يشير بيده قاتلاً في اقتضاب :

- أسرع .

تبعاه في خطوات محددة إلى سيارته ، فالتقى نفسه
أمام عجلة القيادة ، وهو يشير إلى مقعد السيارة
الخلفي ، قاتلاً في حزم :

- اخفضا رأسكما .

وفي نفس اللحظة التي ظهرت فيها سيارة (هاتكس)
عند العاصية ، انطلق الرجل بسيارته في هدوء وهو
يهمس :

- لا يمكن الانطلاق بسرعة . والا أثرنا شكوكهم .

الا ان (هاتكس) انحرف نحوه بمسيرته بغتة ،
وصاح في صرامة ، وهو يشير إليه بشارته :

- توقف يا رجل .

وأصبح من الواضح أن هذه المحاولة لم يكتب لها
النجاح ..

أو أنها قد فشلت ..

تماماً .



٣- الغشل ..

ففر الجنرال (جيمى تورنمبول) فاه ذاهلاً ، وهو يحدق فى كومة الحطام والدماء والأشلاء ، التى تبقت من (جاك) ومشروع (السوبرمان) ، وارتحف جسده كله فى انفعال عارم ، وهو يتمتم :

- مستحيل ! مستحيل أن يكون مشروع (السوبرمان) قد فشل فى القضاء على ذلك الرجل ' . مستحيل !
احتقن وجه مندوب وزارة الدفاع ، الذى اصططحه إلى الاستاد ، وقال فى غضب عصبى :

- إنها كارثة يا جنرال كارثة ! هل تعلم ما الذى سيؤدى إليه هذا البتلجون^(*) سيرفض الاستمرار فى تمويل المشروع ، وسيتهمون الوزير بالاهمال وعدم تقدير المسئولية ، لأنه غامر بتجربة المشروع ضد رجل واحد والأدهى أن هذا لم يحدث فى مساحة تدريب ، أو حتى فى دولة من دول انعام الثالث . واتما حدث فى

(*) البتلجون : المؤسسة العسكرية الأمريكية .

قلب مدينة كبيرة ، مما عرض الأشخاص والمنشآت لخطر ليس له ما يبرره . هذا سيسثير الكونجرس^(*) ، والصحافة ، وكل الجهات المسئولة ضدنا .. إنها كارثة حقيقية !

ظل (تورنمبول) يحدق فى الحطام وبقعة الدم لحظات اخرى . قبل أن يقول دون أن يفارقه ذهوله :

- ولكن (أدهم صبرى) هذا ليس رجلاً عادياً .. لنظر أمامك ، وستدرك ما أعنيه . لقد نسف مشروع (السوبرمان) ، الذى لم تتجح فصيحة كاملة فى التصدى له !! . هل رأيت فى حياتك كلها شيئاً كهذا !؟

اعتدل مندوب وزارة الدفاع ، وهو يقول فى صرامة :

- الأمر تجاوز هذه الحدود العاطفية يا جنرال .. لقد لقي اثنان من رجال الشرطة مصرعهما ، بسبب هذه المواجهة . والثالث سيحرق بهما بسبب إصاباته الفادحة ، وهذا سيفجر غضب الشرطة كلها بالتأكيد ، وتساولات الصحافة . وستكون هناك استحوابات ، وتحقيقات ، على كل المستويات . ونحن نكون من السهل أبداً إخفاء

(*) الكونجرس : السلطة التشريعية فى الحكومة الاتحادية الأمريكية .

الحقائق ، وخاصة لو صدرت تعليمات بالتشدد في بحث الأمر ، ونادى الكونجرس بتقصي الحقائق .. أنت تدرك ما يمكن أن يؤدي إليه كل هذا .

التقى حاجبا (تورنسول) ، وأطُت من عينيه نظرة شديدة التوتر ، وهو يقول :

- ما الذي ترمي إليه بالضبط ؟

أشار الرجل إلى كومة الحطام ، مجيبا في صرامة :
- أعني أن هذا الفشل كُف دافعي الضرائب عدة ملايين من الدولارات ، ولا بد أن يكون هناك شخص مسئول عن كل هذا .

توتر (تورنسول) أكثر وأكثر وهو يقول في عصبية :
- وزير الدفاع شخصا وافق على استخدامي لمشروع (السوبرمان) ، و ...

قاطعه الرجل في حزم يحمل شيئا من الثبرود :

- وهل منحك موافقة مكتوبة ؟

احتقن وجه (تورنسول) ، وهو يقول :

- في عالم القادة لا يحتاج الأمر إلى موافقات مكتوبة ، أو توقيعات صحيفة الرجل أعطاني كلمته ، وتحمل مسئولية الأمر ، و ...

قاطعه الرجل مرة أخرى في استنكار صارم

- مسئولية الأمر ؟! . مغررة يا جنرال ، ولكن للمسئولية كلمة كبيرة ، في مثل هذه الظروف ، وهي تحتاج حتما لما يؤكد لها ، حتى ولو كانت بين رؤساء الدول أنفسهم .
رمقه (تورنسول) بنظرة طويلة ، قبل أن يسأل بلهجة من يتوقع شرا :

- ما الذي يعني هذا بالضبط ؟

هز الرجل كتفيه ، مجيبا :

- يعني أنه عند بدء التحقيقات الرسمية ، لن يضحى السيد الوزير قط بمستقبله من أجل أحد الجنرالات ، الذي تملكه الغضب وسيطرت عليه روح الانتقام ، فسرق أحد المشروعات البالغة السرية ، ليحقق بها انتقاما قريبا .

هتف (تورنسول) :

- سرق ؟!

أجاب الرجل بسرعة :

- بالتأكيد أنت لم تحصل على موافقة مكتوبة ، لاستخدام مشروع (السوبرمان) ، وحارس المخزن الخاص سيشهد باتك هددته بمسدسك لتحصل على المشروع ، و ...

قاطعه (تورنسول) هذه المرة ، وهو ينقض عليه ،
صارخاً :

- أيها الأوغاد .. أيها الحقراء .

تفادى الرجل المدرب انقضاضته في مهارة مذهشة ،
ومال جانباً ، ثم هوى على فكه بكلمة قوية ، قائلاً :

- مهتر مرة أخرى يا جنرال .

سقط (تورنسول) أرضاً ، مع عنف النكمة ، فاعتدل
الرجل ، وعدل رباط عنقه ، وهو يستطرد :

- ولكنني مضطر .. كلنا مضطرون .

تحسن (تورنسول) موضع النكمة ، وهو يقول في
مرارة :

- إذن فقد صنعتكم مني كبش فداء .

هز الرجل كتفيه ، وقال :

- أنت تعلم أنك المسئول الحقيقي عن كل ما حدث
يا جنرال ، وهذه النهاية تحقق العدل للجميع ..

وتشهد في أسف مصطنع . مستطرداً :

- وكما أخبرتك ، ستكون هناك تحقيقات ، واستجوابات ،

وفضائح بالخسارة ! . إنه تدمير لتاريخك كله
يا جنرال .

دمعت عيناً (تورنسول) ، وهو يغتم في مرارة :

- ألا توجد وسيلة لتفادي كل هذا ؟!.. لقد قدمت
خدمات عديدة للوطن ، ومن حقى أن أحصل على
استثناء ما .

لطئت نظرة ظافرة من عيني الرجل ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

ثم أخرج مسدساً من جيب معطفه في حرص ، وألقاه
إليه ، مستطرداً :

- بالمصادفة كنت أحمل مسدسك في جيبى ، وخزائنه
تحتوي رسالة واحدة .

تطّلع (تورنسول) إلى المسدس في مرارة ، وهو يقول :

- وهل سأضطر لتوقيع خطاب اعتذار يبرر هذا ؟!

هز الرجل رأسه نفياً ، وقال بصوت لا يحمل أية
مشاعر :

- لن تضطر لأي شيء ..

أوماً (تورنسول) برأسه متفهناً ، وانحدرت دموع
القهقير والمرارة من عينيه ، فربت الرجل على كتفه ،

وهو يقول بتعاطف مقتعل :

- صدقني يا جنرال .. هذا أفضل ما تفعله .

ثم أواه ظهره ، وابتعد في خطوات هادئة ، مضيقاً
في حزم :



تطلع (توريسول) مرة أخرى إلى المذبح ، وامتدت أصابعه المرجمة إليه ..

- والقرار لك وحدك يا جنرال .

تطلع (توريسول) مرة أخرى إلى المذبح ،
وامتدت أصابعه المرتجفة إليه ، و .

وبرقت عينا مندوب وزارة الدفاع في ظفر ، عندما
دوت الرصاصة في قلب الاستاد ، لتضع نهاية لفصل
آخر من فصول اللعبة ..
لعبة للخطر ..
والموت ..

★ ★ ★

سرت موجة عنيفة من التوتر في جسد (جيهان) ،
وقبضت على مسدسها في قوة ، عندما حفص المصري
من سرعة سيارته ، واعطى إشارة تفيد استعداده
للتوقف ، استجابة لإشارة (هاتكس) ، في حين غمغم
(أدهم) وهو يقوم الدوار الشديد ، الذي أحبط برأسه .
- يبدو أننا سنضطر لقتال مرة أخرى يا زميئي العزيزة

ولكن المصري قال في حزم :

- اطمئنا .. لن تضطرا لهذا .

قلتها . وضغط دواسمة الوقود بقوة ، فوثبت سيارته
نحو سيارة (هاتكس) ، انتهى تمسك للتوقف إلى
جواره ..

وفى عطف ، ارتطمت سيارته بمقدمة سيارة
(هاتكس) ، قبل أن ينحرف بها فى حركة حادة ماهرة ،
وينطلق مبتعدا بأقصى سرعة .

وكانت مفاجأة مذهلة لـ (هاتكس) ، الذى هتف فى
غضب :

- للجنة ! .. ماذا أصاب الجميع ؟

أما زميله ، فقد استل مسدسه ، وقفز خارج السيارة ،
ليطلق النار على سيارة المصرى ، التى ابتعدت ،
وابتعدت ، وابتعدت ..

وبداخلها . هتفت (جيهان) فى حماس :

- رائع تصرف رائع بارجل .. لقد باغتهم تماما .
ابتسم المصرى ، وهو يقول :

- يسعدنى أن هذا قد راق لك .. وبالمناسبة . اسمى
(السيد الشرقاوى) مصرى أقيم وأعمل كمترجم
هنا فى (نيو جيرسى) ولن أسأل عن اسميكما
بالتأكيد ، فانا أعلم أن هذه المعلومات تتدرج أحيانا تحت
بند السرية المطلقة .

اعتدل (ادهم) ، وقاوم شعوره بالإعياء ، وهو يقول :

- ولكن ما فعلته سيعرضك لبعض المشكلات بالتأكيد

أطلق (السيد) ضحكة مرحة ، وهو ينحرف بالسيارة
إلى طريق فرعى صغير ، ويواصل الانطلاق بأقصى
سرعة ، قتلًا :

- ليس لدى أذى لك من هذا ، فهذه السيارة ملك
لزوجتى (إليانا) ، ولقد حذرتنى من خدشها ، قبل أن
تعرنى إياها ، ويمكننى أن أتخيل ما ستفعله ، عندما
تشاهد الإصابة فى مقنعتها .

ابتسم (ادهم) لدعائته ، وقال :

- كنت أقصد رجال الشرطة والمباحث الفيدرالية .

أجابته (السيد) فى مزح :

- لا عليك .. إنهم أقل خطرا بالتأكيد ، فأى متهم عندهم
له حقوق مدنية على الأقل ، ثم إننى سأدعى أنكم كنتم
تهددوننى ، وأننى كنت مضطرا للفعل ما فعلته

قائلها ، و (جيهان) تلقى نظرة خلفها ، لتراقب
الطريق فى قلق ، قبل أن تقول :

- يبدو أن الاصطدام أصاب سيارة الآخرين بعطب ما ..
لست ألمحهم خلفنا .

أجابها المصرى فى اهتمام :

- إنهم من رجال الشرطة ، ويحفظون المنطقة بكل
تأكيد . وسينطلقون فى مسار آخر ، لقطع الطريق أمام
سيارتى ، عند مدخل (جيرسى سيتى) .

ثم أوقف السيارة بعثة ، مضيفا في حرم :

- وهذا يعني أنه ينبغي أن نتوقف هنا

اعتذلت (جيهان) ، قائلة :

- اه . بالطبع نحن نقدر موقفك ، ونشكر لك شجاعتك

ومعاونتك لنا ، و ..

قاطعها للرجل بسرعة :

- دعني هذا لما بعد ياسيدتي ، فالوقت أضيق من

أن نضيعه في مثل هذه المجاملات . معذرة لأسلوبى

اللفظ ، ولكن استمعا إلى جيدا عندما أبتعد عن هذا

المكان ، انتظرا حتى أحتفى عند تلك الناصية هناك ،

ثم اتجها شرق إلى (جيسى سبتي) ، وستجدان

هناك مطعما للأسماك ، يمتلكه ويديره رجل مصرى .

يدعى الحاج (حسن) . وهو من أبناء (السويى) .

الذين قاتلوا المحتلين قديما ، وشاركوا في حرب

أكتوبر ١٩٧٣ م ، أخبراه أنكما مصريين ، وأنكما

صديقان لى ، وسيمحككم كل معاونة ممكنة هل

استوعبتما هذا ؟

أحبه (أدهم) فى حرم ، على الرغم من الضعف

الشديد الذى يشعر به :

- بالتأكيد .

تنهد الرجل ، وصافحهما فى حرارة ، مغمضا :

- وفقكما الله (سبحانه وتعالى) .

وعندما انطلق بسيارته مبتعدا ، لم تفارق عيناه

صورتهما المنعكسة فى المرآة الجانبية ، حتى اختفى

عند الناصية ، ولمح سيارة (هاتكس) التى تندفع نحوه

من بعيد ..

وعلى الرغم من دقة موقعه ، اختلج قلبه فى ارتياح ،

وهو يوقف سيارته ، فى انتظار وصول ملتحش المباحث

الفيدرالى الغاضب ..

ولم يشعر بأدنى قدر من الخوف أو القلق

فقط شعر بالفخر ..

كل الفخر ..

هذا لأنه فعل اليوم شيئا من أجل وطنه الحقيقى

من أجل (مصر) ..

★ ★ ★

لقد نجا ياسنيورا . أقسم لك إننى فعلت كل

ما بوسعى ، ولكنه نجا

نطق (بل هايدن) عبارته هذه في توتر عفيف .
نقلته أسلاك الهاتف إلى أذنى السنيورا ، التي كادت
تقتصر سماعة الهاتف بأصابعها الغاضبة ، وهي تهتف :
- نجا ! . مستحيل ! . هل أتعامن دوما مع أعبياء
متفاعسين ^{١٤} ماذا دهاك ؟ .. بل ماذا دهاكم
جميعا ^{١٥} . لماذا يفشل كل من اتعامل معه ^{١٦} ؟

ازدرد (هايدن) لعابه في صعوبة ، وهو يقول :
- هذا الرجل ليس بشريا يا سنيورا . إنه شيطان ..
شيطان حقيقي والحظ يخدمه على نحو لا يمكنك
تصوره ! لقد نجا من صاروخ أطلقه عليه (ويلي) ،
من طائرة هليكوبتر ، وأسقط الطائرة نفسها . هن
تصورين هذا ^{١٧} . رجل منفرد يسقط طائرة
هليكوبتر ^{١٨} . وليس هذا ، فحسب ، فقد قتلت زميلته
(جاكسون) ، وكاد هو يفتك بـ (توم) ، الذي أوشك
على الاعتراف له بكل شيء .

اختلق صوته ، وهي تقول بعصبية شديدة :
- أوشك لم ...

قبل أن تتم تساولها ، تندفع بهتف :

- ثم يقل شيئا يا سنيورا .. أقسم لك إنه لم يفعل ..
لقد أضلقت النار عليه قبل أن يبلغ ذلك المصري بمعلومة
واحدة .

هتفت في غضب هادر :

- ولماذا لم تطلق النار على (أدهم) نفسه أيضا ^{١٩} ؟
أجابها متوترا :

- لقد حاولت . أقسم لك إنني حاولت ، ولكن ذلك
الشيطان يتحرك بسرعة مذهلة ، ثم إن ظهور ذلك
الشيء لم يكن بحق .
سألته في حدة :

- أي شيء هذا ؟

بدا الاضطراب واضح في صوته ، وهو يجيب :
- نست أدرى يا سنيورا .. إنه شيء أشبه برائد
فضاء ، أو مخلوق من كوكب آخر ، أو ..
قطبته في غضب :

- ماذا أصابك يا رجل ^{٢٠} ؟ أي هراء هذا ^{٢١} ؟ .. إننا
نحيا على أرض الواقع ، ولستنا ممثلين هزليين في فيلم
سخيف ، من أفلام الخيال العلمي .
هتف (هايدن) :

- ولكن ما أرويه لك حقيقى ياسنيورا ، ولم أشاهده
وحدى .. لقد شاهده معى رجال الشرطة أيضا .. رائد
فضاء مخيف ، يطلق الصواريخ والرصاصات ، ويطلق
على ارتفاع ثلاثة أمتار عن الأرض ، بوساطة صواريخ
دافعة خفف ظهره .. لقد ظهر فى الاستاد فجأة ، وهاجم
(أدهم صبرى) هذا ..

سألته فى توتر وعصبية :

- وماذا فعل معه ؟!

أجابها (هايدن) فى انفعال :

- لن يمكنك تصديق هذا ياسنيورا . لقد نجح ذلك
الشیطن المصرى فى نفسه . سحقه سحقاً ، على
الرغم من أن كومة من رجال الشرطة قد عجزت عن
التصدي له .

صرخت فى غضب :

- اللعنة ! .. اللعنة ! .. اللعنة !

ثم أنهت الاتصال فى عنف ، دون أن تبالى بوجود
(هايدن) على الطرف الآخر للحط ، وانقطعت عليه
سجارتها ، لتشغل سيجارة فى عصبية بالغة ، وتفت
لختها كالحمم ، هاتفه فى سخط :

- لقد نجا مرة أخرى .. (أدهم صبرى) نجا مرة
أخرى .. ما الذى ينبغى أن أفعله : لتدمير هذا الرجل ؟! ..
هل ألقى قنبلة نووية على (نيويورك) كلها لأفسده ؟
غضبت مساعدتها فى حذر :
- هذا سينو أشبه بحرق منزل فلخر ، لنقل قط لختفى
داخله .

استدارت إليها السنيورا فى حدة ، وصرخت فى غضب :
- لا شأن لك بهذا .

تراجعت المساعدة فى خوف ، وهى تتمم :

- معذرة ياسنيورا .. معذرة .. لم أقصد هذا .

نفثت السنيورا دخان سيجارتها مرة أخرى ، ولوححت
بذراعها ، هاتفه :

- هاك خلل ما هناك خلل ما حتماً . لقد استعنت
بأفضل المحترفين فى كل المجالات ، دون أن أنجح فى
التخلص منه .. لا يمكن أن يكون بهذه القوة إنه
مجرد بشر .. مجرد بشر .

ثم التفتت إلى مساعدتها ، تسألها فى عصبية :

- هل تعتقدين أننى أخطأت التصرف على نحو أو آخر ؟
ارتبكت المساعدة ، وحاولت أن تقول شيئاً ما ، ولكن
الخوف ألجم لسانها ، فصاحت بها السنيورا فى غضب :

- لقد ألقيت عليك سؤالا محدودا .

تقص حسد المساعدة . وهي تقول في خوف :

- لا يا سنيورا . لست أعتقد أنك ارتكبت أية أخطاء .

اتخذت حاجب السنيورا ، ونفثت دخان سيجارتها في عصبية ، قبل أن تغفم :

- هذا رأيي أيضا .

ثم عدت تنوح بذراعها ، مستطردة في حدة :

- لماذا لم أحقق النجاح إذن ؟! . لماذا لم أنجح في

الحصص من (أدهم صبرى) حتى الآن ؟!

ولتها . واتجهت نحو النافذة ، ووقفت تتطلع

عبرها إلى حوض السباحة في صمت ، وهي تنفث

دخان سيجارتها في عصبية وتوتر شديد ، فازدردت

مساعدتها نعالها ، واستجمعت شجاعته ، لتقول

مترددة :

- سنيورا . لو أدنت نسي . فانا أعتقد أنك تمتلكين

بعض بائع القوة ، في مواجهة (أدهم صبرى) هذا .

استدارت إليها السنيورا بعينين متسائلتين ، فأضافت

بسرعة :

- زميلته .

اتخذت حاجبا السنيورا في شدة ، وقالت في صرامة

- زميلته هي خط دفاع أخير في مواجهته . عندئذ

تتعقد الأمور .

قللت المساعدة في سرعة :

- ونماذا لا تصيح سلاح هجوم أيضا ؟

ثم استدركت في خوف :

- إنه مجرد اقتراح .

اتخذت حاجب السنيورا في شدة ، وبدأت على ملامحها

إشارات التفكير العميق لدقائق ، قبل أن ترفع أحد

حاجبيها ، وتقول في حزم :

- ولم لا ؟!

ثم اتجهت في حماس مفاجئ إلى الهاتف ، والمقنط

سماعته . وطلبت رقما خاصا ، ثم قالت :

- أه السنيورا . أرسل لي مصورا محترفا على الفور

أريد التقط بعض الصور ، وأريدها أن تحرج في أفضل

شكل ممكن .

واستعادت شفتاها التجميلتان ابتسامتها الواثقة . وهي

تضيف :

- نعم . لم أفعل هذا قط من قبل ، ولكني سأفعل .

مرحلة جديدة في حياتي ، وكل مرحلة استويها

قللتها ، وهي تعني كل حرف منها ..

إنها تبدأ بالفعل مرحلة جديدة من صراعي مع (أدهم

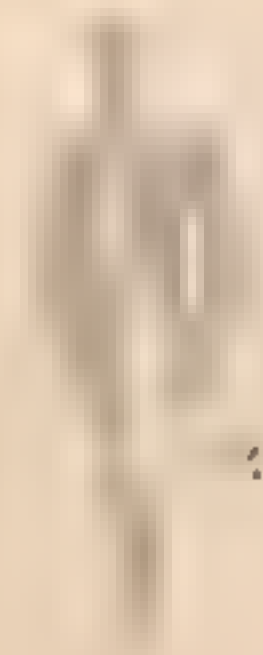
صبري) ..

مرحلة حلالة ..

وحاسمة .

وأخيرة ..

★ ★ ★



٤ - صورة ..

فرك المفتش (هاتكس) عينيه في إرهابي شديد ، مع
مطلع فجر اليوم التالي ، قبل أن يتطلع إلى (السيد
الشرقاوي) ، الذي بدأ عنيه إرهابي مماثل ، ويقول .

- إذن فأنت تصرّ على أنك كنت مضطرا لفعل ما فعلت ،
وأنت لم تقصد مهاجمة سيارتي ، أو معاونة هاربين
على الفرار .

أجابه الرجل في هدوء :

- تمام الإصرار ، ومازلت أصر أيضا على الاتصال
بمحامي الخاص ، وعلى أنكم تهيدرون حقوقى القانونية ،
بمستجوابى دون حضوره .

اتعقد حاجبا (هاتكس) في غضب ، وهو يقول .

- قل لى يا رجل : هل تعلم أنك لم تحصل بعد على
جنسية أمريكية ، وأنت مازلت تحمل البطاقة الخضراء
فحسب ؟!

مال (السيد) إلى الأمام ، وأحابه في برود مستفز :

- وهل تعلم أنت أن هذا لا يفقدنى حقوقى القانونية ؟

تراخى (هاتكس) بمقعده فى غضب ، ورمى الرجل
بنظرة سارية ، قبل ان يشير إلى باب الحجرة قائلاً فى
حدة :

- هب اخرج من هنا استفد بحقوقك القاتونية ،
وعد الى منزلك ، ولكن ثق بأتك لن تبعد عن بصرنا
قط .

نهض الرجل فى هدوء ، وغادر المكان قائلاً :
- اشكرك هذا يمنحى حماية مجتية على الأقل
عص (هاتكس) شفته السفلى فى غيظ ، وهو يدق
سطح المنضدة بقبضته ، هاتفا :

- اللعة ! .. اللعة !
سأله زميله ، وهو يشير الى الباب الذى غادره
(السيد) :

- هل نرسل أحدهم خلفه ؟
صاح به (هاتكس) فى حدة :
- بالتأكيد .. هل تسألنى يا رجل ؟!

اسرع الرجل بفقد الامر ، فى حين التفت زميل آخر
إلى (هاتكس) ، قائلاً :

- هل تعتقد أنه تربطه بهما صلة ما ؟
هز (هاتكس) رأسه ، قائلاً :

- احتمال ضئيل ، ولكن لا يمكننا استبعاده .. إنه مصرى
مثلها .

ثم نهض من مقعده ، ووقف يراقب شروق الشمس
لبضع دقائق فى صمت ، قبل أن يتابع فى توتر ملحوظ :
- ولكن أيا كانت الحقيقة ، فقد اختلفى (أدهم صبرى)
وزميلته تماماً ، وفشلت كل محاولتنا للبحث عنهما ،
فى (نيوجيرسى) و (نيويورك) ، مع يكاد يصيبى
بالتجنون .

تردد زميله لحظة ، قبل أن يقول :
- لو أرئت رأى بصراحة ب (هاتكس) ، فأنت تتعامل
مع الأمر من منطلق التحدى الشخصى فحسب ، وليس
من منطلق البحث عن الحقيقة .

التفت إليه (هاتكس) بحركة حادة ، قائلاً :
- ماذا تعنى ؟
أجابه زميله بسرعة :

- إنك تتجاهل اعتراف (بيرت) ، وكل ما قاله (أدهم
صبرى) ، حول ضرورة البحث عن الأسباب الحقيقية
لاغتيال (رالف أيدن) وخيانة (مايكل فريمان) ،
ولاتحاول ربط كل هذا بعملية اختطاف السفير المصرى
فى (واشنطن) . ومن رأى أنك لو توقفت بعض الوقت

عن مطاردة (أدهم) هذا ، ولو لانتقط بعض أنفاسك ،
وأوليت اهتمامك لتلك الأمور ، وحاولت العثور على
الحيط الذى يربط بعضها ببعض ، فربما تحقق نصراً
أكبر

انعتقد حاجب (هتكس) فى صمت ، وانطلق عقله
يفكر جدياً فيما قاله زميله . إلا أنه ، وعلى الرغم من
كل محاولاته . لم يستطع طرد سؤال محدود . ظل يتردد
فى عقله بالحاح مستفز ..

أين (أدهم صبرى) الآن ؟ ..

أين ؟ ..

أين ؟ ..



تهدد (شدد) . مندوب المخابرات المصرية فى
(نيويورك) . فى عمق ، وهو يسترخى فوق مقعد
وثير . الى حوار نافذة مرل آمن جديد ، فى قلب مدينة
تطحت السحب ، ثم ثعاب مرتين . قبل أن يلتفت إلى
الملحق الطبى المصرى ، ويسأله :

- هل تعتقد أنه بخير الآن ؟!

أوما الملحق الطبى برأسه إيجاب ، وقال :

- بأنن الله (العلى القدير) لقد عالجت جرحه
كلها ، واستخرجت شظية من ساقه اليسرى ، وكل
شيء الآن على ما يرام . صحيح أنه فقد بعض الدماء ،
إلا أنه قوى الهنية ، ويمكن لجسده أن يستعيد نشاطه
بعد بضع ساعات من النوم العميق

انطلقت من صدر (جيهان) تهيدة ارتياح . وغضمت :
- حمداً لله .. حمداً لله .

وأسبل (شدد) جفنيه بضع لحظات فى ارتياح . قبل
أن يعاود فتحهما . وهو يسأل الطبيب فى اهتمام
- هل سيحتاج إلى رعاية طبية أخرى ؟

هز الملحق الطبى كتفيه ، وقال :

- سيحتاج إلى تنظيف الجروح يومياً . والفصل ألا يبدل
الكثير من الجهد . فى هذه المرحلة . وإن

قاطعه (جيهان) فى حزم :

- يمكنك نسيان هذا .

التفت إليها الملحق الطبى فى دهشة متسائلة .
فتابعت :

- (أدهم) لن يهدأ قبل أن يتم مهمته . ويصل الى
هدفه . و ...

توقفت لحظة . لتزدرد لعبها فى صعوبة . محاولة
السيطرة على انفعاتها . قبل أن تكمل

- ويستعيد (منى) .

مطّ الملحق الطبي شفّته في عدم ارتياح . وقال في شيء من الضجر :

- يمكنني استيعاب هذا . فقد سمعت التعامل مع رجال المخابرات هؤلاء . إنهم لا ينصاعون قط لتعليمات الأطباء .

غمغم (ناشد) . وشفّاه تحملاً شبح ابتسامة :

- لو أنك في موضعهم ، لوجدت نفسك مضطراً لفعل ما يفعلون .

حاول الملحق الطبي أن يتسم بدوره ، وهو يقول .

- ربما ، ولكن للحسد البشري قدرته على الاحتمال .

ومهما بلغت هذه القدرة ، فهي ..

لم يكن قد أتم عبارته بعد ، عندما انطلق رنين حرس الباب بقة . فوثبت (جيهان) من موضعها ، وهي تستل مسدسها . في حين هب (ناشد) من موضعه ، وجذب مسدسه من حزامه . ورفع الملحق الطبي جانباً ، وهو يقول في حزم .

- احتم بهذه الأريكة ياسيدى .

قلها . وسبق (جيهان) إلى الباب . وهو يقول :

- من بالباب ؟!

أتاه صوت مأثوف ، يجيب :

- هل يمكنني الاتصال بصديقتي في (لوس أنجلوس) ؟!

أجابه (ناشد) بسرعة :

- هاتفنا لا يتصل إلا بمدينة (طوكيو) وحدها

قال صاحب الصوت على الفور :

وماذا عن (القاهرة) ؟

ولم يكذ (ناشد) بسمع الجزء الأخير من عبارة

التعارف ، حتى أسرع يفتح الباب ، ويستقبل زميله

(إدوار) ، الذي قال في انفعال ، وهو يذلف إلى المنزل ،

ويغلق الباب خلفه :

- لقد تلقينا رسالة بالفاكس من السنيورا

بدت الدهشة على وجه (ناشد) . في حين هتعت

(جيهان) :

- رسالة بالفاكس " وكيف تعرفت رقم الفاكس

الخاص بكم هنا ؟!

أجابه الرجل . وهو يناول مظروف لزميله (ناشد) :

- لقد أرسلتها إلى سفارتنا في (واشنطن) ، وتم

إرسالها إلينا مع مندوب خاص ، وصل إلى (نيويورك)

منذ نصف الساعة فحسب . ولم أكد أتلقى الرسالة ،

حتى هزعت بها إلى هنا .

التقط (شاهد) المظروف ، وفضنه بسرعة ، ثم انعقد
حاجباه في شدة . وهو يتطنج إلى الأوراق داخله . قبل
أن يغمغم في توتر :

يا إلهي ! .. إنها (منى) !

قفزت (جيهان) تحتطف الأوراق من بين أصابعه ،
وتتطنج إليها في لهفة متوترة . ثم لم يلبث حاجباها أن
انعقدا بدورهما ..

هذه لأن الأوراق كانت تحوى بعض الصور لـ (منى)
توفيق) ، التي ترقد فائدة الوعي ، في حجرة خاصة
مجهزة ، والتي جوار الصور بعض التقارير الطبية
الايكترونية لها ، مثل رسم المخ . والصور فوق
الصوتية للقلب ، وغيرها ..

وفي توتر هزيل ، قالت (جيهان) :

- تلك النعبة تبعك ان (منى) في قبضتها ، وأنها
مارتت تستطر على الموقف تماما . بل وتقول في ذيل
الرسالة ان الصور الاصلية مع التعليمات الجديدة في
طريقها إلى اسفارة ، وانها مرسلة إلى (أدهم صبرى)
شخصيا ، مع تحياتها .

سقط الملحق الطبي لتقارير من يدها في رفق ،
وانقى نظرة عبيد - هتمد باع ، قبل أن يقول في قلق :

- ولكن لو أن هذه هي التقارير الطبية الخاصة بزميلتكم
بالتفعل ، فهذا يعنى أن حالتها الصحية ليست على
ما يرام ، وأنها تمر بمرحلة حرجة للغاية ، وتحتاج إلى
عناية طبية خاصة للغاية ، وإلا ..

قأطعه بقعة صوت حازم ، يقول :

- هذا بالضبط ما تريد السنيورا اللهيئة أن نخبرنا به
التفت الجميع في دهشة إلى مصدر الصوت ، وارتفع
حاجبا الملحق الطبي ، حتى كادا يلامسان منابت شعره ،
في حين هتفت (جيهان) :

- رباه ! .. (أدهم) ؟! ماذا تفعل هنا ؟! . ينبغي
أن تحظى بقدر والفر من النوم ، حتى تستعيد نشاطك
تقدم (أدهم) نحوهم ، وهو يقول في صرامة :
- لا وقت للنوم يا (جيهان) ، فمن الواضح أن خصمنا
لا يهدأ له جفن .

عدل الملحق الطبي منظاره فوق أنفه ، وهو يقول :
- اسمع يا سيد (أدهم) ، بصفتي طبيبك المعالج ،
فلأنا ..

قأطعه (أدهم) . وهو يلتقط الأوراق ، ويلقى نظرة
طويلة على صورة (منى) ، مغمفنا :

- نعم .. إنها هي .. إنها (منى) ..

واسقمس قلب (جيهان) بين صنوعها . مع الطريقة
التي نطق بها اسم (منى) ..

ثم حسرت اليها أنه لم ينطقه بلسانه . وانما نطقه بقلبه ،
وان كان حرف من حروف اسمها كان يحمل واحدة من
شئها

ويحمل جزءاً من حبه ..

من عشقه وهيامه بها ..

وبكى قلب (جيهان) ..

بكى بدموع من دم . غمرت صدرها ، دون أن تطل
من عينيها الحميتين ، وهي تتطلع إليه في صمت ،
حسرة أن تفرح شفاها ، فتطلق من بينهما آهة لوعة ،
أو تهيدة حسرة ومرارة ..

ثم سكن نديها الذي شك في أن (أدهم) لم ولن يحب
سوى (منى) ..

(منى) وحدها ..

وانسبها ثم تكن تستطيع كتمان تلك المرارة . التي
تحتسرها في قسوة . كلما أعلن صوته أو وجهه عن
هذا الحب العميق ..

ثم (بسم) . فقد اندفع يسأل في لهفة وثقل :

- ولكن ما الذي يمكننا أن نفعله ؟!

لم يجب (أدهم) عن السؤال مباشرة . واتعب لاذ
بالتصمت لحظات ، وهو يتطلع إلى صورة (منى) . قبل
أن يلتفت إلى (إدوار) ، ويسأله في حزم :

- هل تعقبتم مصدر إرسال الفاكس ؟!

لجابه (إدوار) :

- بالطبع يا سيدي ، ولكن هذا لم يسفر عن شيء

لقد تم إرساله لاسلكياً ، من مكان ما في (أمريكا) أو
(كندا) ، أو أية دولة أخرى قريبة .

لتعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يتمتم :

- يا للعينه ! .. إنها تتخذ احتياطاتها بدقة مذهلة

ومرة أخرى ، وعلى الرغم من أن كل الدلائل تشير
إلى العكس ، ففز إلى ذهنه اسم لامرأة واحدة . تمت
كل تلك الخبرة والبراعة ، ويمكن أن تسعى خلفه . وان
تقاتله بكل هذه الدراسة ..

(سونيا) ..

(سونيا جراهام) ..

كان المنطق . كل المنطق ، يؤكد أنها قد لعبت
مصرعها مع ابنه . في ذلك الانفجار . الذي أطاح

بالجزيرة التي اتخذتها مقراً لمنظمتها الإجرامية
(سناك) في الماضي القريب (*) ..
ونكن شيئاً ما في أعماقه كان يأبى الاستسلام لذلك
المنطق ..

شيء ما في عقته ، يشعر أنها مازالت هناك
وأن شرورها لم تصبح وقوداً للجحيم بعد .

ولكنه ، وتبعاً لمقتضيات الظروف ، طرح هذه الفكرة
جانباً مؤقتاً ، وعاد يتطلع في اهتمام شديد إلى الصورة
المقبولة بالعكس ، وكأنما يبحث فيها عما يمكن أن
يرشده إلى المكان الذي تخفى فيها عدوته اللدود .

وفي صوت خافت حذر ، نعم (ناشد) :

- اعتقد أنه ليس أمامنا سوى أن ننتظر وصول الصور
الأصلية والتعليمات .

تطلع إليه (أدهم) لحظات في صمت ، ثم التفت إلى
الطبيب ، يسأله :

- كم من الوقت في رأيك ، يمكن أن تصمد (منى)
طبيباً ؟

التقط الرجل الأوراق ثانية ، وطلعها مرة أخرى في
دقة واهتمام ، قبل أن يجيب :

(*) راجع قصة (المصرية القصصة) المعمدة رقم (١٠٠)

- لو أن التقرير كلها سليمة ، والصور توضح الإمكانيات
الموافرة طبيّاً لها ، وبافتراض وجود طبيب متخصص
لرعايتها ، فيمكنها أن تصمد ليومين تقريباً ، ثم ..
لم يتم عبارته ، وإنما ابتلع ما تبقى منها ، وهز
رأسه بما يفيد الأسف ، فاعتقد حاجباً (أدهم) في شدة ،
وقال في صرامة مخيفة :

- هذا يعني أنه ليس أمامنا ما نضيقه من وقت
قائها ، واتجه إلى ذلك المقعد المجاور للنافذة ،
وجلس فوقه في صمت ، وتعلقت عيناه بالمكان ، وهو
يفكر في صمت ..

واحترم الجميع صمته ، حتى خيم على المكان سكون
مهيب ، والعيون كلها تتطلع إليه مترقبة . طوال دقائق
ست . لم يحرك خلالها أحد الحاضرين ساكناً ، وكأنما
تحولوا جميعاً إلى مشهد صامت جامد على شاشة
السينم ، أو إلى صورة ضوئية ثابتة . و

وفجأة ، اعتدل (أدهم) ، والتفت إلى (حيهان)
يسألها :

- أأنت كل ما تم جمعه من معلومات ، عن اتحاد
القتلة ؟

أحايته في دهشة ، وجسدها ينتفض انتفاضة
محدودة ، وكأما يقظها سؤاله من سيئات عميق :
- بالطبع .

هب من المقعد في نشاط عجيب . لا يتناسب قط مع
حالته وإصاباته ، وهو يقول :
- عظيم .. يمكننا أن نبدأ حركتنا الآن .

حذق الطبيب فيه بدعشة بالغة . في حين سألته
(ناشد) في توتر قلق :

- أية حركة ؟ ما الذي تتوى فعله بالضبط ؟
القط (أدهم) مسدسا من فوق المنضدة ، ودسه في
حرامه ، واحتفظ سترته ومعطفه ، وهو يدفع (جيهان)
أمامه إلى الباب . قبل في حزم وحماس :
- انوى الحق بـ حر امل . يمكن ان يقودنى إليها
يا رجل .

فعر (ناشد) فد في دهشة . وانعقد حنجريا الطبيب
و (الدور) في شدة . عذم عذر (أدهم) اتمكن مع
(جيهان) في سرعة . واعتقا الباب خلفهما في قوة .
تسلف عن الحماس والحزم . ونم ينطق أحد الرجال
الثلاثة بحرف واحد لدقيقة كاملة . وان وقر في أعماق



القط (أدهم) مسدسا من فوق المنضدة ، ودسه في حرامه ، واحتفظ
سترته ومعطفه ، وهو يدفع (جيهان) أمامه إلى الباب ..

كل منهم أن المرحلة القادمة من الصراع ستشهد الكثير والكثير من العنف ..
ومن الخطر .

★ ★ ★

ألقى رئيس تحرير مجلة (تايم) الأمريكية نظرة طويلة ، على الصور الضوئية ، التي قدمها له (فريدي) ، أحد أنشط المحررين بالمجلة ، ثم رفع صوته إليه يسأله :

- الصور ملتقطة في براعة حقيقية يا (فريدي) ، ولكنني لست أرى م الذي يمكن أن تعنيه ، أو تشير به اهتمام القاري ' إنها مجرد مجموعة من الصور لقصر مهيب ، يختلف وسط صخور الصحراء المكسيكية ، فماذا في هذا ؟' أتعتقد أنه قصر الأميرة المسحورة أم ماذا ؟!

أشار (فريدي) إلى الصور ، قائلاً في حماس .

- إنه ليس كذلك بالتأكيد ، ولكن طبقاً لرواية مصورنا (حن زوكرمان) ، نقيت زوجته (أنجيل) مصرعها بسبب هذه الصور .

جذب انجواب انتباه رئيس التحرير ، فاعتدل يسأله في اهتمام :

- وكيف هذا ؟

أجابه (فريدي) بنفس الحماس :

- لقد التفتت هذه الصور ، لذلك القصر الغامض ، فقتلوها ، وألقوا جثتها بالقرب من النهر ، وهذا يعني أن هناك أمراً ما يدور خلف أسوار القصر .. أمر يتعارض مع القانون حتماً ، وإلا ما ارتكبت من أجله جريمة قتل .

هز رئيس التحرير رأسه في اهتمام شديد ، وهو يسأله :

- يبدو أنك على حق يا (فريدي) القصة مثيرة بالفعل .. أأنتك وثائق تؤكد هذا ؟

صمت (فريدي) لحظة ، ثم هز كتفيه ، قائلاً :

- لدينا رواية (زوكرمان) إنه سيتحمل المسؤولية كاملة بالطبع ، و ..

قاطعته رئيس التحرير في غضب ، وهو يضرب سطح مكتبه براحته :

- خطأ . خطأ بارجل . هل نسيت قواعد العمل الصحفي ، أم ماذا ؟' لا يمكننا نشر تحقيق كهذا ، دون وثائق إدانة قوية ، وإلا فإمام أصحاب ذلك القصر بمقاضاتنا . وقد يكلفنا هذا مليوني دولار على الأقل

قال (فريدي) معترضًا :

- ولكن (زوكمان) سيحمل المسئولية كلها ، وهو واثق تمام الثقة من كل كلمة قالها

لرئيس التحرير بكفه ، قائلًا :

- لا تحاول (زوكمان) مصور محترم ، وأنا شخصيًا شديد الإعجاب بصوره ، ولكنني لن أخاطر بسمعة المحلة ، بمجرد أنه مصدوم بمصرع زوجته ، ويبحث عن تبرير لهذا ،

هاتف (فريدي) :

- سيدي (زوكمان) ليس بالرجل الذي

قاطعه رئيس التحرير بصرامة شديدة هذه المرة :

- قمتُ لك لا تحاول هذه المحلة لها سياسة حارمة ، ومهمتي هي العمل على تنفيذ هذه السياسة كما ينبغي لاشر بدون وثائق ، هل تفهم ؟ . لا نشر بدون وثائق .

ارتسم العصب على وجه (فريدي) ، وهو يقول في حدة :

- فنيكر ولكن تذكر دائماً أنك المسئول عن خسارتنا لهذا السبق الصحفي .

قالتها ، واستدار في حدة ليغادر المكتب ، إلا أن عبارته دوت في عقل رئيس التحرير ، فهتف يستوقفه .
- لحظة يا (فريدي) .

التفت إليه الصحفي الشاب في غضب ، فاستطرد في توتر :

- عندي حل وسط لهذه المشكلة .

أطلقت من عيني (فريدي) نظرة متسائلة ، جعلت رئيس التحرير يتابع :

- سننشر الصورة من دون التحقيق .

هاتف (فريدي) في دهشة :

- وما الذي يمكن أن يعنيه هذا ؟^{١٧} منح القراء لغزاً مملئاً ؟!

قال رئيس التحرير في حدة :

- هذا كل ما يمكنني فعله . سننشر أكثر الصور وضوحاً للقصر ، ومعها عدد قليل من الأسطر . يشير إلى أن هذه الصورة مرسلة من (زوكمان) في (المكسيك) ، وأنه قد عثر عليها في آلة التصوير الخاصة بزوجته . بعد أن لقيت مصرعها هناك في ظروف غامضة . ثم

نتساءل : أى شخص هذا الذى يبنى قصره فى مكان
خفى على هذا النحو ؟ ولماذا ؟!

هاتف (فريدى) فى حماس :

- رابع .. لنا أجد هذا الحل راقعا .

ثم سأل فى لهفة :

- هل يمكننا اللحاق بعدد الغد ؟

هز رئيس التحرير كتفيه ، مجيبا :

- فقط لو أنك تابعت هذا بنفسك .

هاتف فى حماس أكثر .

- سافعل .

أحضر رئيس التحرير ابتهاماته فى أعماقه . وحافظ

على ملامحه الصرامة . وهو يتابع (فريدى) ، الذى

احتفظ الصور . وانطلق يعدو نحو صالة التحرير . ثم

لم يثبت أن سمح للابتهامة بالتسلل إلى شفتيه . عندما

اطمأن إلى أن أحدا لا يلمحه . وتمتم فى إعجاب :

- هكذا يكون الصحفي .

ثم عاد يتبع أعماله . دور أن يدري أنه بقراره هذا

قد قدم حزمة رائعة للمخابرات المصرية

وبالتحديد إلى أفضل رجالها ..

إلى (آدم صبرى) ..

رجل المستحيل ..

★ ★ ★

لعلم (بل هايدن) أوراقه ووثائقه فى عناية .

وأنقاها كلها فى مدفأة منزله الفاخر . ووقف يراقب

النيران ، التى التهمتها فى سرعة ، ثم اتجه نحو لوحة

زيتية كبيرة . تحتل منتصف أحد الجدران فى الردهة

الكبيرة . وأزاحها جانباً . فبدت خلفها خزانة فولاذية .

أدار قرص أرقامها للسرية فى سرعة . ثم فتحها .

وراح ينقل رزم النقود وأكياس الذهب منها . إلى حقيبة

كبيرة . وعندما اطمأن إلى أنه لم يترك شيئا خلفه .

التقط سماعة الهاتف . وطلب رقما خاصا . ولم يكده

بسمع صوت محدثه . حتى قال فى توتر ملحوظ .

- أنا (بل) يا (موريس) .. أنا مستعد الان للرحيل ..

نعم .. كل شيء أصبح على ما يرام .. كلاً .. لا تحاول

إقناعى بالبقاء . لقد فشلت فى القضاء على ذلك

المصرى . وأصبحت محاصرا بين المطرقة والسندان .

فالسنيورا اللعينة لن تسمح لى بالبقاء قط . بعد أن

عرفت شيئا من أسرارها .. هذه هى القاعدة التى تتبعها

في كل عنفها ، والتي جعلتني أقتل (توم) من أجلها
هب ب (موريس) لا تضع المزيد من الوقت . إنني
انتظرك لتتقلني الى المطار الخاص هيا
وانهي الاتصال ، وهو يطلق من أعماق صدره زفرة
حارة متوترة . ثم يتطلع إلى امرأة كبيرة في الردهة ،
ويعدل رباط عنقه ، مضغماً :

- أنعم ان يكون الطقس جيداً هذه الأيام في
(الأرجنتين) ، قلت مستطداً ...

بتر عبارته بغثة ، ومال رأسه إلى الامام على نحو
مضحك . وهو يحذق بعينين ذهبتين في المرأة ، التي
نقلت اليه مشهداً من خلف ظهره . لم يكن يتخيل رؤيته
قط ..

نقلت اليه صورة (الدهم صبرى) ، الذي برز من
حجرة نومه ، وارتكن الى بابها في هدوء ، وهو يتطلع
إليه باهتسامة ساخرة ..

وبحركة غنية حلادة ، استدار (هايدن) إلى (الدهم) ،
وارتد كمن أصابته صاعقة . فارتطم بالمرأة الكبيرة ،
وهو يصرخ :

- لا مستحير ، مستحير أن تكون هـ

اتجه (أدهم) نحوه في هدوء ، وهو يقول :
- لم يكن الأمر مستحيلاً أيها الوجد .. أو حتى
عسيراً . إنك تتعامل مع ما حولك في استهتار تام ،
وكأنك رئيس الشرطة ، ولست مجرد قاتل محترف
حقير ..

امتقع وجه (هايدن) في شدة ، والتصق بالمرأة في
رعب ، وهو يحذق في (أدهم) ، الذي واصل تقدمه
نحوه ، مستطرداً :

- لقد حدثت شخصيتك ، من المعلومات التي حصلنا
عليها . ثم توصلت الى رقم بطاقة الائتمان الخاصة بك ،
وبعد ما لم يعد الأمر شاقاً لقد استخدمت الكمبيوتر ،
لمعرفة حركة بطاقتك ومصرفاتها . وامكنت ببساطة ان
نحدد مسكنك

ثم مال نحوه ، مضيفاً بلهجة ساخرة ،
- كانت سخافة منك ان تستخدم اسمك الحقيقي في
استخراج بطاقة ائتمان ليس كذلك ؟

تصاعف امتقع وجه (هايدن) ، واتسعت عينه في
ذعر ، وهو يتمتم في صوت بلغ شحوبه أقصاه

- ولكن كيف ؟ .. كيف وصلت إلى هنا ؟ .. إننى أقسم لك .. إننى أتلقى الأوامر
أقيم فى الطابق العشرين من ناطحة السحاب هذه ؟

هز (أدهم) كفيه . وأجاب ساخرًا :

- من أدراك ؟ .. ربما طرت إليك مثل (سوبرمان) .
التصق (هايدن) بالمرأة أكثر وأكثر . وكأنما يتمنى
أن يفوس داخلها . فرارًا من خصمه . الذى يرمقه
بنظرة صارمة مخيفة . وارتجف صوته بشدة . وهو
يسأله :

- وما .. ماذا تريد منى ؟

أجابه (أدهم) بلهجة بائعة الصرامة . تكاد تتجمد لها

الدماء فى العروق :

- السنيورا .

رند (هايدن) فى ارتياح :

- السنيورا ؟

جذبه (أدهم) من سترته فى قسوة . وكاد يفوس

بعينيه فى أعماقه . وهو يقول بنفس الصرامة :

- أين هى ؟ أين يمكننى أن أجدها ؟ .. أنت تعرف

موقعها حتمًا .

هتف (هايدن) :

- لست أعرف شيئًا .. أقسم لك .. إننى أتلقى الأوامر
منها هاتفياً فحسب .

سأله (أدهم) فى قسوة :

- وماذا عن النقود ؟

لوح (هايدن) بنزاعه . هاتفًا :

- كنها تحويلات بنكية . أقسم لك إننى أذكر الحقيقة .

مال (أدهم) نحوه أكثر . وهو يقول بلهجة مخيفة :

- كاذب . لست أصدق حرفًا واحدًا مما تقول . أنت

تعرف أين هى . على الأقل يمكنك أن تخبرنى فى أية

دولة تقيم .

اتسعت عينا (هايدن) فى رعب شديد . وهو يقول :

- مستحيل ' لا يمكننى أن أخبرك شيئًا ستقتنئى لو

فعلت . إنها لا تعرف الرحمة

دفعه (أدهم) فى عنف . قللاً :

- وماذا لو قتلته أنا الآن ؟

أطن زعر هائل من عيني (هايدن) . وبدأ لحظة

وكانه سيدلى بشيء ما . ثم لم تلبث نظرت . أن حملت

شيئًا من الأمل والتهفة . وهو يهتف :

- لقتله .. لقتله يا (موريس) .

ومع اتجاده نظرتيه ، التي تجاوزت كتف (أدهم) ،
وذلك الصوت الحافت الحذر ، الذي التقطته أذنا هذا
الأخير ، استدار بظن في سرعة ، إلى حيث ينظر
(هايدن) ، ووقع بصره لحظة على رجل أصلع الرأس ،
ضخم الجثة ، يصوب إليه مسدسا كبيرا ، و .
وانطلقت من فوهة ذلك المسدس الكبير رصاصة ،
قبل أن يكمل (أدهم) التفاتته ..
وأصابت صدره إصابة مباشرة ..
في موضع القلب تماما .

★ ★ ★

٥ - نيويورك ..

(هاتكس) .. استيقظ يا (هاتكس)
فتح (هاتكس) عينيه في ببطء ، وتطلع إلى وجه
زميله ، الذي نطق العبارة ، وحملت عيناه شيئا من
للحيرة في البداية ، قبل أن يعتدل في مجلسه ، ويهتف .
- آه . يبدو أنني استغرقت في النوم . دون أن
أدري

ربت زميله على كتفه ، قائلا في تعاطف
- إنك مرهق للغاية ، ولم تذق طعام اليوم منذ صباح
أمس ، ومن الطبيعي أن تنام في أثناء عملك على
الكمبيوتر .

لم يكذ زميله يأتي على ذكر الكمبيوتر ، حتى اعتدل
(هاتكس) ، وذب في جسده نشاط مبالغ ، وقال في
حماس مذهش :

- بمناسبة الكمبيوتر لقد راحت عشرات الأمور ،
وبحثت عن علاقات لم أتبه إليها من قبل ، وجاءت
النتائج مذهشة .. بل مذهلة .

والتفت إليه ، مستطرذاً في افعال :

- ولو صح ما تشير إليه هذه المعلومات ، فنحن أمام واقعة بالغة الخطورة . خيانة عظمى لو صح القول .

هتف زميله في دهشة بالغة :

- خيانة عظمى " . يا إلهي ! .. إنه قول بالغ الخطورة

يا (إيدن) .

لوح (هاتكس) بيده ، قللاً :

- ولكنه أقرب إلى الحقيقة والواقع يا رجل من الواضح أن بعض معلوماتنا بالغة السرية تتسرّب منذ فترة ليست بالقصيرة . ومن مواقع مختلفة ، ويبدو أن جهة ما قد نجحت في التسلّل إلى صفوفنا ، وتغلّقت فيها على نحو محيف . وما (إيدن) و (فريمان) إلا جزء من شبكة معقدة زهية .

ثم تنهّد في عمق ، مستطرذاً :

- والمدّهن أن (أدوم صبرى) حاول تحذيرنا من هذا الأمر وتبليهاً إليه طوال الوقت .

ربت زمينه على كتفه ثانية ، وهو يقول :

- ألم أقل لك أنه من الممكن أن ترى الأمور بشكل آخر ، لو نظرت إليها من زاوية جديدة .

أشار (هاتكس) بيده ، وقال :

- بل ربما يتجاوز الأمر هذا يا رجل . ومن المؤكد أنه سيدهشك ما انتهى إليه تفكيرى ، بعد أن توصلت إلى هذه الحقائق الجديدة .

سأله زميله في اهتمام :

- وما الذى انتهى إليه تفكيرك ؟

صمت (هاتكس) لحظة ، قبل أن يجيب في عمق :

- إلى انقلاب يا رجل .. انقلاب تام .

قالتا ، دون أن يفصح عما لديه ..

وبدا قوله هذا غامضاً ! ..

غامضاً للغاية !

★ ★ ★

أصاب رصاصة (موريس) (أدوم) في صدره ، في موضع القلب تماماً . ودفعت جسده إلى الخلف في عصف . فارتطبت امرأة تكيرة . اننى تحطمت بدوى عنيف ، وتناثرت شظاياها في مساحة واسعة . فانطلق (هاردين) يهوى ، هاتفاً :

- انسف رأسه يا (موريس) لا تترك احتمالاً واحداً لنجاته .

اندفع (موريس) نحو (أدوم) وهو يصوب مسدسه إلى رأسه ، و ...

وفجأة ، وثب (أدهم) نحوه ، هاتفا :

- الأمر ليس بهذه البساطة يا صاح .

شهق (هايدن) ، وانتفض جسده في هلع ، في حين اتسعت عيب (موريس) ، وتراجع بحركة حادة ، من أثر المفاجأة . فانقض عليه (أدهم) ، وأمسك معصم اليد الممسكة بالمسدس ، وأبعدا عنه ، وهو يلکم (موريس) في فكه ، قائلا :

- بصعنتي أن فاجأتك بهذا .

ثم لکمه في معدته ، مستطرذا :

- ولكنني أدين بالفضل الى اقتراح زميلتي الجديدة وأضاف لکمة شائنة في انفه ، متابع .

- بارتداء درع واقية من الرصاصات .

كانت لکماته شبه مطارق قوية . إلا أن حسد

(موريس) انصدم حتمها على نحو رهش . قبل أن

يطلق الرمح رمجة محيعة . ويهجم (أدهم) صارخا :

- لا أحد يفعل هذا بـ (موريس) .

تراجع (هايدن) أمام ذلك المشهد المخيف . ثم دار

على عقبه ، وانطلق يعدو خارج المنزل هربا .

و (أدهم) يستقبل (موريس) بنکمة كالتقبنة في فكه ،

قائلا :

- راجع نظرياتك يا رجل .

ثم وثب ليركنه بقدميه في صدره . مستطرذا :

- فهويتي لا تحمل اسم (لا أحد) .

تراجع (موريس) في عنف . مع قوة الضربة ، وارتطم بالجدار المقابل . فاندفع (أدهم) محاولا النحاق بـ (هايدن) . إلا أن الضخم ارتد عن الحدار . كما لو كن كرة من المطاط . وأحاط وسط (أدهم) بذراعيه . هاتفا :

- التقب على (موريس) ليس بالأمر السهل

رفع (أدهم) قدميه عن الأرض . وضرب بهما الجدار . ودفع ظهره مع خصمه الى الخلف . وهو يدور حول رأسه بحركة بالغة الرشاقة . أجبرت الرجل على السقوط على ظهره . الذي ارتطم بالأرض في عنف . جعل (أدهم) يتمنص من ذراعيه . ويثب واقفا على قدميه . وهو يهتف :

- وليس بالأمر الصعب أيضا .

هب (موريس) واقفا في سرعة . ولكن (أدهم)

دار على قدمه اليسرى . وهوى على فكه بقدمه اليمنى

بركة أشبه بصفعة من يد فولاذية عملاقة . طار لها

حسده الضخم لمترين كائنين . قبل أن يسقط على ظهره

في عنف . فوق شظايا امرأة المكسورة

وعلى الرغم من عنف الصدمة وقوتها ، نهض
(مورييس) واقفاً ، وصاح وهو يندفع نحو (أدوم)
صيحة مخيفة ، أشبه بصيحة ثور هائج ، ثم انقض
على هذا الأخير كتصاعقة ، وحمله من وسطه كما لو
أنه يحمل طفلاً صغيراً ، وصرخ :

- ستدفع الثمن يا هذا ، ستدفع الثمن

ومع آخر حروف صرخته ، ظهرت (جيهان) ،
وهي تصوب إليه مسدسها ، هاتعة في صرامة :
- توقف يا هذا ، وإلا ..

وقبل أن تتم عبرتها ، أطلق (مورييس) صرخة
هادرة ، وألقى (أدوم) نحوها بكل عضبه وقوته ..
وعلى الرغم من الانثناء المرنة ، التي قام بها جسد
(أدوم) في الهواء ، تنفادى الارتطاد العنيف برميته ،
إلا أنه لم يستطع الابتعاد عنها تمام ، فاصطدم جسده
بها ، وسقط الإنسان أرضاً ، في نفس اللحظة التي وثب
فيها (مورييس) يستعيد مسدسه ، وهو يصرخ
- هذه المرة لن أحظى هدفي سأتسبب رأسيكما
مباشرة .

وإدار فوهة مسدسه في مرعرة ، ليضيق النار على
رأسيهما ، و ...

وبسرعة مذهشة ، النقط (أدوم) قطعة من شظايا
المرأة ، وألقاها نحو (مورييس) بكل قوته ..
وشهق الضخم ، وجحظت عيناه في ألم وذهول ،
عندما اخترقت قطعة الزجاج الحادة عنقه ، ومزقت
وريده مباشرة ..

ولثانية لو يزيد ، تجمد جسد (مورييس) في مكانه ،
بعينه الجاحظتين وملامحه المذعورة ، قبل أن يهوى
جثة هالمة ، بين الشظايا المتناثرة .
وفي دهشة تحمل شيئاً من الحق ، هتفت (جيهان)
ب (أدوم) :

- لماذا لم تستخدم مسدسك منذ البداية ؟
أجابها ، وهو يهبط واقفاً على قدميه ، ويداونها على
النهوض :

- لأنني لم أتبع القواعد ، ففوجئت بأن المسدس الذي
التقطته من فوق المنضدة خال من الرصاصات
ثم سألها في اهتمام :

- أين ذهب (هايدن) ؟
اتسعت عيناه في دهشة ، وهي تجيب :
- (هايدن) ؟ ! .. إنني لم أشاهده قط .. لقد استقلت
المصعد ، و ...

قاصعها (أدهم) وهو يندفع نحو الباب :

.. رباد ! . لقد استخدم لرجلات سلم الطوارى بالتأكد ..

هذا الرجل محترف بحق .

وتلفت حوله فى توتر ، وهو يدرك أن قتاله مع

(موريس) قد منح (هايدن) كل ما يشاء من الوقت .

ليسبقه إلى أسفل ، ولو لم يجد وسيلة سريعة للحاق به .

فسمعى هذا أن يفقد آخر خيط ، يمكن أن يقوده إلى

المنبورا ! ..

وإلى (منى) ..

وفجأة انطلق نحو المطبخ ، فتبعته (جيهان) هاتفة :

.. إلى أين ؟!

وارتفع حاجبها فى دهشة ، عندما فتح غطاء أنبوب

القمامة الضخم^(*) ، وهتفت مستكبرة :

.. ماذا ستفعل بأنه عليك " إنها فتحة القمامة "

هتف بها ، وهو يثب داخل الأنبوب :

.. للضرورة أحكام .

(*) فى كل البيوت الصحية فى (امريك) - تقريبا - توجد بكل

شقة فتحة للقمامة التى تلبس القمامة الى محزن خاص ، عبر أنبوب

ضخم .

انزلق جسده عبر الأنبوب الكبير بسرعة مخيفة ،

عبر عشرين طابقاً ، وراح يتخبط فى جدران الأنبوب فى

عنف ، فضم ساعديه إلى وجهه ، ليقيه الصدمات

والخبطات ، وعقته لا يحمل سوى فكرة واحدة وضرورة

واحدة ..

أن يلحق بـ (هايدن) ..

وأخيراً ، تجاوز جسده الأنبوب ، وقفز لمترين عبر

الفراغ ، قبل أن يسقط داخل وعاء ضخم ، امتلأ بأكياس

القمامة السوداء ..

ولم يستقر جسده داخله ثانية واحدة

إنه لم يكسب يسقط داخله ، حتى وثب خارجه ، وانطلق

يعود بكل قوته ، محاولاً بلوغ مريض السيارات ..

وعندما بلغه ، كان (هايدن) ينطق بسيارته هارب

وبكل قوته وسرعته ، وعلى الرغم من جراحه

وألامه ، انطلق (أدهم) يعود خلف سيارة (هايدن) ،

الذى لمحها فى مرآته ، فالتفت عيناه فى ذعر وذهول ،

وهتف مرتجفاً :

.. يا للشيطان !! .. كيف يفعل هذا ؟

وضغط لواسة الوقود بكل قوته ، فالتفت السيارة

عبر المريض بسرعة مخيفة ، واتجهت نحو بابه

الخارجي . وحاول حارس المكان إيقافها ، لتأكد من هوية قائدها ، كما تقتضي التعليمات ، ولكن (هايدن) لم يكن مستعداً للتوقف لحظة واحدة ، فالتفت نحوه مباشرة ، وهو يصرخ :

- أيتها الغبي .

وهتف (أدهم) من الخلف :

- ابتعد بالله عليك يا رجل .

ولكن هتافه جاء بعد فوات الأوان ، فقد ارتطم (هايدن) بالحارس بكل قوته ، وأطاح به بعيداً ، قبل أن يحطم حاجز باب المربض ، ويندفع إلى الطريق بسرعة مخيفة .

وفي مدينة مثل (نيويورك) ، يستحيل أن يندفع شخص ما بهذه السرعة ، إلى طريق رينيسس ، دون أن يحدث مالا تحمد عقباه ..

لذا فقد عجز (هايدن) عن تفادي الاصطدام بالسيارات المنطلقة في نهر الطريق ، على الرغم من انحرافه عن مسارها ، و ...

وحدث الاصطدام ..

سيارة أمريكية ضخمة اصطدمت بجانب سيارته في عصف ، فدارت حول نفسها ، لترتطم أخرى بمقدمتها ، وتلقيها إلى جانب الطريق ..

وضاعف (أدهم) من سرعة ركضه ، محاولاً بسوء سيارة (هايدن) ، قبل أن يستعيد هذا الأخير توازنه . إلا أن القاتل المحترف وثب خارج السيارة فور توقفها ، واتطرق بجرى بأقصى سرعة بصنعها الخوف والفزع ، نحو كوبري علوي بعيد ..

ووثب (أدهم) يتجاوز السيارة ، وهو يهتف بالمارة ، الذين تجمعوا حول المكان ، واعترضوا طريقه دون أن يدروا :

- أفسحوا الطريق .. إنها مطاردة رسمية

تباعد الجميع في سرعة ، وهتف أحدهم ، عندما تجاوزه (أدهم) :

- رباه ! إنه البطل (تيم بارتون) .

شهق البعض في انبهار ، وصفق آخرون بأكفهم كالأطفال . في حين واصل (أدهم) جريه حلف (هايدن) . الذي صعد إلى أعلى الكوبري ، وراح يعبره بسرعة القصوى ، حتى اعترضه أحد العمال ، هاتفاً :

- لا يمكنك عبور الكوبري .. إننا نجرى بعض الإصلاحات في نهايته ..

احتقن وجه (هايدن) ، وهتف بالعامل في غضب :

- ومن سمح لكم بفعل هذا أيها الأغبياء ؟ من سمح لكم ؟!

حذق العامل في وجهه بدهشة ، وهو يغتم :

.. إننا نحمل تصريحات رسمية ، و ...

لم يستمع إليه (هايدن) . وهو يلتفت إلى الخلف في
توتر شديد ، وهو ي قلبه بين ضلوعه ، عندما رأى
(أدهم) يعدو نحوه ، فاستل مسدسه ، صارحا :

.. لا .. ابتعد عني .. ابتعد عني .

وأطلق رصاصتين من مسدسه ، فوثب (أدهم) ،
وانبطح أرضا لتفاديهما ، في حين تعلقت عينا (هايدن)
بالمتمرو ، الذي يتحه نحو الكوبري ، ثم اعتمد على
حاجز الكوبري بهسراه ، ووثب بلا تردد ، ليهبط على
سطح المتمرو

ولم يتردد (أدهم) أيضا لحظة واحدة

لقد وثب بدوره عبر الحاجر ، وهبط على سطح
المتمرو ، ثم انطلق يواصل مطاردته لنقاتل

وامتلات نفس (هايدن) بدع لا حدود له ، عندما
رأى (أدهم) خلفه ، فراح يعدو فوق سطح المتمرو
المطلق بسرعة ، في محاولة للفرار منه بأى ثمن ..

ولكن المسافة بينهما كانت تقصر بسرعة مذهلة .

فهما بلغت سرعة (هايدن) ، لم يمكنه أبدا أن

يسبق هذا الرجل .

رجل المستحيل ...

صحيح أن (هايدن) ليس مصابا بكل هذه الجراح ،
التي تتخن جسد (أدهم) ، وأن الدماء بدأت تتسلل إلى
مصرة وسروال هذا الأخير ، عبر الجراح ، التي لم
تحتمل كل هذا الجهد والعنف ، إلا أن (أدهم) كان
يواصل العدو ، ويقفز من إحدى عربات المتمرو إلى
الأخرى ، كما لو أن جهازه العصبى قد تخذل بأكمله .

أو لم يعد يبالي بالالام ، مهما بلغ عنفا

وأخيرا بلغ (هايدن) قاطرة المتمرو ، وأدرك أنه لم
يعد أمامه من مفر ، فخفق قلبه في عنف وارتجاع ،
واستدار يواجه (أدهم) ، و ...

وفجأة ، انتبه إلى أنه مازال يحمل مسدسه في يده .

وأدهشه أن الخوف قد أنساه نقطة تفوق هائلة
كهذه ، فرفع فوهة مسدسه نحو (أدهم) ، وصرخ .

.. محطتك الأخيرة أيها المصري ..

وفي هذه المرة ، لم يكن أمام (أدهم) مفر من
مواجهة رصاصات (هايدن) ...

أى مفر ..

★ ★ ★

كان المتمرو ينطلق في طريقه ، فوق زوح من
القضبان الفولاذية ، وركابه لا يدرون شيئا مما يحدث

على سطحه ، حيث يقف (هايدن) ، ومصنعه مصوب
إلى رأس (أدهم) ..

ولم تكن هناك وسيلة آمنة واحدة ، لتفادي
الرصاصات هذه المرة ، فالانحراف يمينا أو يسارا ،
سيؤدي حتما إلى السقوط من المترو ، وهو ينطق بهذه
السرعة ..

والمسافة ، التي تفصل (أدهم) عن (هايدن) ،
لا تسمح لدول بالانقضاض على الثنائي بالسرعة
المطلوبة ..

(هايدن) قاتل محترف ..

وإن يخطئه إصابة هدفه .

ثم انه يعلم جيدا أن (أدهم) يرتدى درعا واقيا من
الرصاصات ..

والمصوب على الرأس مباشرة ..

ولم يكن لدى القاتل المحترف أدنى شك ، في أنه قد
ظفر بخصمه هذه المرة . لذا فقد أطلق ضحكة ظافرة
قوية ، وجذب زناد مصنعه ، و ...

ولجأة ، ظهر ذلك النفق ..

كان المترو ينحرف بمرعته الكبيرة ، ويدلف إلى
نفق من أنفاقه ، لينطلق إلى وسط المدينة ، ورأى

(أدهم) سقف النفق في مستوى أقل من ارتفاع رأس
(هايدن) ، الذي لم ينتبه إلى هذا . وهو يولي النفق
ظهوره ، ويصوب مسدسه إلى (أدهم) ، الذي هتف :
- احترس يا رجل .

وقبل حتى أن يكتمل هدفه ، وقع الارتطم
وأمام عينيه تماثلا ، رأى (أدهم) مؤخرة رأس
(هايدن) ترتطم بالنفق في قوة ، والدماغ تتفجر منها ،
مع بعض شظايا الجمجمة . وقطع من المخ . قبل أن
يطير جسد القاتل المحترف ، ويسقط حثة هامة عند
قضبان المترو . الذي مرق ما تبقى منها بلا رحمة
وفي مرارة ، صرخ (أدهم) ، وهو ينحنى ليتفادى
الارتطم :

- لا .. ليس هذا .

ارتفع صوت المترو بشدة ، دخل النفق ، مع تروده
على الجدران ، واغنى (أدهم) أذنيه بشدة ، وعقه
وقبه يصرخان في ألم وأسف وأسى
ها هو ذا يفقد آخر خيط ..

ها هو ذا يشهد مصرع آخر الرجال ، الذين يمكن أن
يقودوه إلى خصمه اللئيم ..

والى الإنسانية الوحيدة ، التي لم ولن يحب قتلها
صواها ..

إلى (منى) ..

واعتمر الألم والحزن قلبه في شدة ، واختنقت عيناه
بدموع حبيسة ، ثم تسمح لها كرامته بالتحرز قط ، حتى
توقف المترو في محطته التالية ، فانتزع (أدهم) نفسه
من رقاده وحزنه انتزاعاً ، ووثب من سطح المترو إلى
الرصيف ، أمام العيون الذاهلة المتسائلة ، ودس كفيه
في حبيس معطفه ، متجاهلاً النظرات المندهشة ، وهو
يتجه إلى باب الخروج ، و ..

وفجأة ، ارتفع من خلفه صوت مألوف ، يقول
- كنت أعلم أننا سنلتقي ثانية .

استدار في حركة سريعة إلى مصدر الصوت ،
فواجهته فوهات خمسة مسدسات متحفرة ، وبينها وجه
انفجش (هاتكس) الذي يستطرد في ارتياح :
- والتوقع أنني كنت متشوق بشدة لهذا اللقاء بالذات
وكتبت مفاجأة حقيقية ..

وعنى الرغم من هذا ، لم يحاول (أدهم) المقاومة ،
نقد ترك رجال المباحث الفيدرالية يحيطون به ،
ويضعون أغلاطهم في معصميه ، ويقودونه إلى سيارتهم ،
وكتأماً فقد مع مصرع (هيدن) ، رغبته في الفرار أو
النجاة ..



ورأى (أدهم) سقف النفق في مستوى أقل من ارتفاع
رأس (هيدن) ، والذي لم ينتبه إلى هذا ..

أو فقد الأمل في استعادة الفتاة التي ينقض قلبه
حبها ..
كل الأمل ..



مظت (حيهان) شفيتها الجمينتين في أسى .
وتهدت في أسف . وهي تجلس مع (أدهم) داخل
حجرة صغيرة مغلقة . في مبنى المباحث الفيدرالية . ثم
قالت في ضيق :

- يبدو انه لا مفر من الاعتراف بان (هتكس) هذا
يجيد عمله تمام . لست أدري كيف توقع أننا سننقب
أخر اعضاء (اتحاد القتل) . ونكنسى فوجيت برحاله
يطبقون على داحر شقة (هيدس) . وعلمت منهم أنه
راك تطرد ذلك الوعد . فحق بك دون ان تدري
أرهن على انه استنح وجهتك . عسى راكم تقفزان
إلى سطح المترو .

لم يبد على (أدهم) انه سمعها . وهو يجنس صامتاً
على مقعده . وعبد شاربلس . تحديق في الجدار
وكأنه لا يراه . فمالت نحوه . مضغمة :

- هن تشعير بالسطح . لانت وقعت في قصتهم^{١٥}
انفت استها في سطاء . وهر رأسه قايلا :

- هذا لا يقتضي على الإطلاق ب عزيرتي . لقد استسلمت
لهم في محطة المترو . لأنني كنت مجهداً للغاية . وكنت
بحاجة الى بعض الوقت . لمراجعة كل ما اختزنه عقلي .
منذ بدأت هذه الملحمة السرمدية . بحث عن خيط آخر .
يمكن أن يقودني الى حيث يحتخرون (منى) لاهد أن
أصل إليها . قبل أن تسوء حالتها أكثر
قاومت تلك القصة في حنفها . وهي تتمم .
- ولماذا لا تنتظر وصول الصور . لأصلية وتعليمات
السيور ؟

هز رأسه نفياً . وهو يجيب :

- لأن تلك الأقوى أكثر حذراً من شعب جريج . وأكثر
شراسة من ديب حابع . ولن تحمل لنا صورها
وتعليماتها سوى محاولة جديدة . ندفعني الى فتح آخر .
وسنبدل قصري جهدها . حتى لا تمنحني دنيا واحداً .
مهما بلغت ضآلته . يمكن ان يقودني الى مخبئ
ارتفع حاجبه . وهي تقول في توتر
- الى هذا الحد^{١٦} . الا توجد وسيلة واحدة للظفر
بتلك اللعينة !؟

هز رأسه مرة ثانية . قبل أن يقول :

- انها شديدة الحذر والحرص ، الا انه ما من شخص
او جهة ، يمكنه التحرك محافظة على سريتها المطلقة
الى الابد ، مهما بلغت استحکاماتها الامنية . هناك ثغرة ما
حتمًا طرف خفي لا ينتبه اليه احد ، ربما لانه ضئيل
للغاية ، او لانه يختفى في ركن مهمل ، يصعب الوصول
اليه . ولكن اذا ما بذل المرء جهدا اكبر ، واستعان
بقوة ملاحظة اكثر دقة ، وبش في الاركان والروايا .
فربما يلتقط طرف الحيط المهمل هذا . ويستخدمة
للوصول الى الحقيقة كلها .

تهدت قائلة :

- هذا يبدو لي اشبه بالروايات البوليسية التقليدية ،
عند تتبع الامور تمام ، ثم يقفز الحل فجأة الى رأس
البطل ، فيكشف الغموض كله .
مط شفتيه ، وهز كتفيه ، قائلا :

- لو ان لك مثل خبرتي ، لاركت ان هذا يحدث في
عالم الواقع ايضا يا عزيزتي . ولكن بصورة أقل مثالية
مما يحدث في الروايات وافلام السينما القديمة
لم يبد عليها الاكثاع بقونه ، فهربت كتفیهما ،
وغمفت :

- ربما .

لم تكذ تنطق الكئمة . حتى دلف (هاتكس) الى
المكان . وقال بانسامة هادئة . تختلف تمام عما
اعتاداه منه طوال هذه المهمة :

- معذرة لانني تركتكما تنتظران ، ولكنني كنت أحاول
الحصول على بعض المعلومات الهمة ، قبل ان نلتقي .
تطلع اليه (ادهم) لحظة في صمت ، ثم سألته :
- قس لي أيها المفتش : ينوح لي أنك لست مبتهجا
لنظف بنا ، بقدر ما أنت سعيد بنقائنا . أهذا صحيح ،
أم ان حاستي قد أخطأت هذه المرة ؟

انطلقت من أعماق (هاتكس) ضحكة قصيرة ، قبل
ان يقول في إعجاب واضح :

- يبدو ان حاستك لا تخطئ أبدا يا سيد (ادهم)
بدت الدهشة على وجه (جيهان) . في حين تأمله
(ادهم) لحظة اخرى في صمت . قبل ان يقول في هدوء
حازم :

- اسمح لي ان أبدى دهشتي لهذا التحول المفجئ .
فعندما افرقنا لآخر مرة ، لم يكن بيننا من المسودة
ما يكفي لان نشعر بالسعادة لرويتنا
تهد (هاتكس) ، وقال :

- لقد حدثت أمور كثيرة . منذ افرقنا اخر مرة يا سيد
(ادهم) .

سأله (حيهان) . ودهشته تتضاعف

- أمور مثل ماذا ؟

أجاب (هاتكس) في سرعة :

- لقد كشفنا أنك كنت محقاً في تحذيرك يا سيد

(أدهم) . وأن بلادنا تتعرض بالفعل لخطر داهم ، على

يد شبكة حاسوبية داخلية بالغة الخطورة . تعمل

لحساب منظمة حرجية . ما زلت تسعى لكشف أمرها

الآن .

لاد (أدهم) بالصمت لحظات أخرى . قبل أن يعيل

نحوه . قائلاً :

- قرأت في وضوح أبيه انمفئش . هن تتشد تعاونت ؟

اندفع (هاتكس) بحيب . وكتما كان ينتظر هذا

السؤال بالتحديد :

- بالضبط .

اعتدل (أدهم) . وهو يسأله :

- مقابل ماذا ؟

ابتسم (هاتكس) . وهو يجيب :

- نيسب هناك حاجة للبحث عن مقبل يا سيد (أدهم) .

اعترف - لأسلوب الذي اتبعناه في احصائك إلى هنا

بدء عذب نوعية . ولكم فعب هذا خشية أن تفر منا .

لنقاسي الأمرين ثلثية للبحث عنك .

ثم مال نحوه . واتسعت ابتسامته . مستطرداً :

- على الرغم من أن منك لدينا لم يعد يحتل مكاناً

وسط منفت الاعداء . بل انتقل إلى خاتمة أخرى .

وانتقلت نفساً عميقاً . قبل أن يصيف :

- خاتمة الأصدقاء .

قفزت دهشة (حيهان) إلى الذروة مع عبارته .

وكانت تصرخ متسائلة :

- وكيف هذا ؟!

إلا أنها كتبت تسوونها هذا في أعماقها . وتركت

(هاتكس) يفسر الأمر . قائلاً :

- نست أدري كيف لم نستبه منذ البداية إلى أنك تعمل

لصالحنا يا سيد (أدهم) . لقد كشفت لنا أمر خاسين .

وحذرت من شبكة التحسس . سر وبصيت لنا نجاحك

في تخليص سفيركم من اسره . حتى لا تضعف في

موقف حرج يبدو أننا ندين لك بالاعتذار

ثم مد يده يصافحه في حرارة . قائلاً :

- والان ما قولك في أن نتعاون بصفة رسمية هذه

المرة ؟

أجابه (أدهم) في حزم :

- هذا ما أسعى إليه منذ البداية .

تمتعت (جيهان) في دهشة عارمة :

- وأنا التي تحدثت عن الروايات التقييدية !!

استغرق الأمر نصف ساعة كاملة ، ليتبادل (أدهم)

و (هانكس) ما لديهما من معلومات ، حول منظمة

(الأفعى) وزعيماتها المجهولة ، ثم تهدد (هانكس) ،

وابتسم وهو يصفح (أدهم) ، قائلاً :

- يا الهى ! لم أكن أدرك أن تعاوننا سيكون مثمرًا

إلى هذا الحد . كم يسعدنى أن نتعاون معا دائماً يا سيد

(أدهم) .

نهض (أدهم) ، وهو يصفحه ، قائلاً :

- سنفعل بإذن الله أيها المفتش . لو اقتضت الضرورة

هذا .

أف (جيهان) فلم تنطق بكلمة واحدة ، أو تبس

ببنت شفة طوال الوقت . واستمرت على صمتها هذا .

مكتفية سبتسامة مدروسة . عندما أوصفها (هانكس)

إلى باب المبنى ، وتعنى لهما خطأ سعيداً ، ولكنها لم

تكذب تبعد مع (أدهم) ، حتى هتفت :

- كيف حدث هذا ؟! أكاد لا أصدق نفسى أعداء

الأمس صاروا أصدقاء اليوم . قل لى بالله عليك :

انحر جزء من رواية سيمانية هزلية ، أم أننا نحيا فى

عالم الواقع ؟!

ابتسم قائلاً :

- ما رأيك أنت ؟

أجابه فى شيء من العصبية :

- رايى أن كل ما حدث يدهشى بحق . وخاصة موقفك .

عندما أخبرت مفتش المباحث الفيدرالى الأمريكى هذا

بكل ما لدينا من معلومات ، حول منظمة (الأفعى) ،

كما لو أنك تتبادل معه حديثاً ودياً .

أحبابها فى هدوء . لا يخلو من الحرم :

- المنظمات التجسسية الدولية الخاصة خطر يتهدد

الجميع . ومن الطبيعى أن نتبادل كل ما لدينا من

معلومات عنها . حتى يتسنى لنا القضاء عليها يوماً

هزت كتفها ، قائلة :

- فنيكن أنت الرئيس والاكثر خبرة ، ومادمت ترى

ان هذا صحيح فهو كذلك حتم . ومن يدري ؟! . ربم

تحصل أيضاً على مكافأة مقابل هذا . و .

توقف (أدهم) بغتة ، قبل أن تتم عبارتها . وضغط

ساعدتها بأصابعه . على نحو جعلها تتلفت إليه هاتفة :

- ماذا حدث ؟!

أدهشتها تلك النظرة العطنة من عينيه . فاستطردت

فى انفعال :

- (أدهم) لا تقَر لي : انت قد توصلت إلى حل ما ،
كما يحدث في الروايات التقليدية !!

حملت نظرتَه وسيراته ربة ظافرة . وهو يقول في
حماس :

- بَلْ هَذَا مَا حَدَثَ بِاتَّصِطُ بِ عَزِيزَتِي نَقْدَ النَّقْطِ
طَرَفَ الْحَيْطِ ، الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَقُودَ إِلَى السَّنِيورَا !
وَاتَّسَعَتْ عَيْنُهُ بِشِدَّةٍ وَاسْبَهَارٍ . وَهُوَ يَحْبِرُهَا بِالْفِكْرَةِ
الَّتِي فَكَّرَتْ إِلَى رَأْسِهِ بِقَعَةٍ .
وَكَانَتْ فِكْرَةٌ مَدْهَشَةٌ ..
مَدْهَشَةٌ بِحَقٍّ .

★ ★ ★

٦ - العودة ..

بدأت النهاية على وجه السفير المصري في (واشنطن)
عندما تلقى الرسالة المنتظرة ، عبر البريد الفيدرالي
السريع ، وأسرع بها بنفسه إلى الحجرة التي يجلس
فيها (أدهم) و (جيهان) ، و (شد) قائلا :
- لقد وصلت الرسالة .

كانت (جيهان) منغمكة في العمل على جهاز كمبيوتر
متطور ، في حين هب (أدهم) من مقعده ، واحتظف
الرسالة من يد السفير ، وفحصها بسرعة ، وألقى نظرة
حافية مشفقة على الصور الأصلية لـ (منى) ، التي
ترقد فاقدة الوعي ، ثم قرأ الرسالة في اهتمام ، وانعقد
حاجباه في شدة ، قبل أن يبلغ نهايتها ، وتتم :
- باللعنة !

اعتذلت (جيهان) ، وتطعنت إليه في تساؤل قلبي ،
في حين سألته السفير متوتراً :
- ما الذي تحمله تعليمات الأفعى هذه المرة ؟

تتهذ (أدهم) قبل أن يحيب :

- إنها ليست تعليمات ، وإنما مقبضة مبشرة ، ومبتذلة .

ثم راح يقرأ الرسالة بصوت مسموع :

- هل رأيت صور زميلتك الحبيبة ، وراجعت تقاريرها

الطبية بنفسك يا عزيزي (أدهم) ؟ أراهن على أنك

تدرك الآن أنه لم يعد أمامها الكثير ، فإما أن تحظى

برعاية طبية أفضل ، خلال ثمان وأربعين ساعة فحسب ،

أو تلفظ أنفسها الأخيرة ها ، في قبو قصرى . واعتقد

أنك تدرك أيضا أنه ما من سبيل لإنقاذها ، من مصيرها

المحتوم ، سوى أن تدفع أنت بالتحديد ثمن هذا

والثمن بسيط للغاية حياتك مقابل حياتها .. اتخذ

قرارك بسرعة أيها العقري ، وثق بأن التلاعب أو

محاولة الحداد لن تحدى ، لأنك تتوصل إلى مكائنها

قط ، ثم انسى لا أتمير بانصر . فتمهنة التى أمنحك

بهاها لاتخاذ قرار نهائى فى هذا الشأن ، تنتهى فجر

الغد أى بعد خمس عشرة ساعة فحسب من ساعة

وصول هذا الخطاب اليك ، طبقا لتقديراتى وتكرر ..

حياتك مقابل حياتها .

وتتهذ وهو يختم الرسالة ، ورفع رأسه الى (ناشد)

و (جيهان) والسفير ، مكعلا :

- ثم توقيع (السنيورا) ، مع رسم لافعى

اتخذ حاجبا (جيهان) ، وضربت أزرار الكمبيوتر ،

قائلة فى حدة :

- كم أتمنى لو أختفها بىدى .

وقال (ناشد) متوترا :

- انها لا تمنحك خيارا هذه المرة . فإما أن تضخى

بـ (منى) ، أو تسمح لها بالقضاء عليك

زفرت (جيهان) فى عصبية ، وعدت إلى عملها

على أزرار الكمبيوتر . وهى تقول فى مرارة

- وهذا يعنى أنه ليس هناك خيار ، فالسيد (أدهم)

لن يضخى برميلته الى القديمة قط ، مهما كان الثمن

شفت لهحتها عن نيران الفيرة ، التى تستعر فى

اعماقها ، ولكن (أدهم) تظاهر بأنه لم ينتبه الى هذا ،

وهو يعود قراءة الرسالة مرات ومرات ، وقد ران على

الحررة صمت ، مهيب ، قطعه وهو يقول بغفّة :

- لدينا دليل واحد على الأقل .

توقفت (جيهان) عن عملها ، وهى تسأله فى حيرة .

- أى دليل هذا ؟

أشار إلى إحدى فقرات الرسالة ، محييا .

- السيورا تقيم في قصر . وليس في منزل عادي .
 بدت الدهشة على وحوه الجميع لحظات . ثم قالت
 (جيهان) ، وهي تعود إلى عملها :
 - وبم يمكن أن يفيدنا هذا ؟
 أجابها (أدهم) في حزم :
 - إنه يقلل دائرة البحث إلى حد كبير .
 تبادل (ناشد) والسفير نظرة حائرة . قبل أن يغمغم
 الأخير :
 - العالم مليء بالقصور . وأنت تقول . إنك لا تدري
 في أية دولة تحتبئ تلك السيورا . و ..
 قاطعته (جيهان) فجأة . بصوت يموح بالانفعال
 - في (المكسيك) .
 انعقد حاحا (ناشد) في شدة . وبدأ وكتما أشعل
 قولها شيء ما في أعماقه . في حين انفت إليها (أدهم)
 في اهتمام بالغ . وهتف السفير في دهشة :
 - وكيف أمكنك تحديد هذا ؟
 - أشارت إلى الكمبيوتر . وهي تقول في حماس .
 - بسبب الخطأ الذي وقعت فيه السيورا طرف
 الحيط المهمل . الذي لم تنته إليه . على الرغم من
 حذر الشديد . والذي انتهت إليه رئيسي العقري

ثم اعتكلت ، هاتفة :
 - التحويل البنكي . الذي تقاضى بوسطته (هايدين)
 أجره .
 اقترب منها (أدهم) في اهتمام . ليلقى نظرة على
 شاشة الكمبيوتر . في حين غمغم السفير في حيرة :
 - تحويل بنكي .
 أجابته (جيهان) بسرعة :
 - نعم . منذ وصلنا إلى هنا . ونحن نسعى لاختراق
 نظام الكمبيوتر . للبنك الذي كل يتعامل معه (هايدين) .
 لمعرفة الجهة التي وصله منها التحويل البنكي . والآن
 فقط أمكنني التوصل إلى هذا . وعرفت أنه تلقى التحويل
 من بنك في المكسيك . ومن حساب امرأة تحمل اسم
 (مارييا يوناسيو) ولا ريب في أنه الاسم المستعار
 للسيورا اللعينة .
 هتف (أدهم) في حماس :
 - رائع يا (جيهان) رائع . الآن فليسيورا تختفي
 في (المكسيك) قصر في (المكسيك) دائرة البحث
 تضيق أكثر وأكثر
 انعقد حاجب (ناشد) في شدة . وهو يقول في حذر :
 - وربما تنحصر في نقطة واحدة .

التفت إليه الجميع ، وسأله (أدهم) .

- أيعنى قولك هذا شيئا محدودا ؟

أوما (ناشد) برأسه ايجابا ، وهو يقول .

- بالتأكيد

والتقط حقيبته الخاصة ، وفتحها مستظردا .

- أنت تعلم ب سيادة العقيد أن لنا مندوبين فى كل

دور الشر . فى معظم دول العالم ، وأن العرض من

وحدودهم هو الحصول على المعلومات التى يتم نشرها

أولا فولا . والعمل على دراستها وتحليلها . قبل حتى

أن تصدر الصحف والمجلات بصفة رسمية . ومنذ

ساعة واحدة . وافانى مندوب فى مجلة (تايم) بالطبعة

التحريرية . للعدد الذى سيصدر من المحلة صباح الغد .

ونقد جذب انتهى فيه موضوع من ستة أسطر . مع

صورة اشترت حيرتى واهتمامى . ولكننى لم أجد لها

تفسيرا منطقيا إلا فى هذه اللحظة فقط . عندما اشارت

الرميلة (جيهان) إلى احتمال وجود قصر السنيور فى

المكسيك .

ول عبرته الاخيرة . وهو يقول (أدهم) الطبعة

التحريرية لمحة فهضت (جيهان) تتلقى نظرة على

الصورة . واشتركت معها السغير فى هذا . فى حين اتلقى

حاجبا (أدهم) . وهو ينطع الى صورة القصر . ويقرأ

الكلمات المطبوعة أسفلها . قبل أن يرفع رأسه . قائلا

فى حزم :

- يبدو أن القدر يأبى التخنى عنا أيها السادة

سألته (جيهان) فى لفه :

- هل تعتقد أن هذا القصر هو ..

قسطها . وعيناه تتألقان على نحو مهيب

- سنناقش هذا فى طريقنا إلى (المكسيك) . فالوقت

الذى لدينا أضيق من أن نضيع منه لحظة واحدة

وسرت انتفاضة فى أجساد الحاضرين . مع الحزم

والصرامة . النذين نطق بهما عبارته الاخيرة . وأدرك

الجميع . دون أن يتبادلوا كلمة أو نظرة واحدة . أن

القتال قد دخل بالفعل مرحلة جديدة ..

مرحلة مواجهة مباشرة ..

وحاسمة ..

★ ★ ★

اتفضت الكلمات على شففى الطبيب . من قرط

الانفعال . وهو يشير إلى (منى) قائلا :

- إننى أحنى مسئوليتى عما يحدث هنا يا سيورا .

فهذه الفتاة تموت بحق . وما لم توفر لها رعاية طبية

مناسبة . فستفظ أنفاسها الأخيرة في غضون ساعات
معدودة :

بدأت ملامح السيور، جامدة باردة . وهي تقول :
- فليكن بعد ساعت معدودة لن تكون بها حاجة
إليها .

حدث الطبيب في وجهها دهشة . قبل أن يهتف
مستكراً :

- أي قول هذا يا سنيورا ؟

ارتجف جسده مع لهجتها الصارمة . وهي تجيب :
- القول الصحيح يا رجل . انني لم أكن احتفظ بهذه
الفتاة لأشقر عيني بعلاجها ومداواتها . ولا يعني
إطلاقاً أن تستعيد وعيها أو تذهب إلى الحليم . لقد
احتفظت بها لهدف محدود . سيتحقق بعد بضع ساعات .
ثم لا تعود بي حاجة إليها .

شحب وجه الممرضة بشدة . وكادت تسقط فاقدة
الوعي . وهي تتمتع بصوت شديد الخفوت .
- ولا بنا .

تدأهلت السيور الكئيمة تمام . وهي تقول في صرامة :
- كل ما يعني أن نبقى على قيد الحياة . حتى فجر
الغد .

قال الطبيب في توتر :

- لا يمكنني أن أضمن هذا .

ارتسمت على شفثيها ابتسامة ساخرة . وهي تميل
نحوه . قلقة :

- من صالحك أن تضمن هذا . فلو أنها لقبت مصرعها .
قبل أن أحقق ما أشده من وجودها . سيفضيني هذا
بشدة . ومشكلتي أنني أميل دوماً إلى الانتقام من كل من
يفضيني .. وبأشنع وسيلة ممكنة .

شهقت الممرضة هذه المرة . وعجزت قدمها عن
حملها . فتهاوت على طرف فراش (منى) . في حين
لمتقع وجه الطبيب بشدة . وعجز لسانه عن النطق
تماماً . فاعتذلت السيورا بنفس ابتسامتها الساخرة .
والتقطت سيجارة رفيعة طويلة من سجائرهما . وأشعلتها
في هدوء . قلقة :

- أعلم أن دخان سيجارتي لا يناسب صحة مريضتنا
الغالية

ثم نفثت للدخان نحو (منى) مباشرة . قبل أن تضيق
في صرامة :



ثم نفثت الدخان نحو (منى) مباشرة ، قبل أن تعيد
نى صراخا : ولكن هذا لا يعنينى قط .

- ولكن هذا لا يعنينى قط .

واستدارت تغادر المكان فى خطوات واسعة قوية ،
والطبيب والمرضة يتبعانها فى خوف وارتياح ، فى
حين شعرت هى فى أعماقها بالقوة والسيطرة ، ولكنها
لم تكذب بل هى القصر الفسيح ، حتى استقبلتها مساعدها ،
قائلة :

- رئيس الشرطة يريد التحدث إليك يا سنيورا ، ويقول :
إن الأمر عاجل للغاية .

انعقد حاجبا السنيورا فى شدة ، وهى تسأله :

- ألم بشر إلى هذا الأمر يا (ماريا) ؟

هزت رأسها نفيًا ، وهى تجيب :

- مطلقا يا سنيورا . كل ما قلته هو أنه أمر عاجل
وهام للغاية .

ازداد انعقاد حاجبى السنيورا ، وهى تتجه إلى الهاتف ،
وتتلفظ سماعته ، قائلة :

- أنا السنيورا .. ماذا لديك ؟!

أدب صوت رئيس الشرطة ، عبر أسلاك الهاتف ،
وهو يقول فى اضطراب :

- رجال المعمل الجنائي لم يعثروا على أنفى أثر لجثة
المصور الأمريكى يا سنيورا .. ولا حتى عظمة واحدة
محرقة .

قلت فى غضب :

- كنت أتوقع هذا ، وبخاصة عندما لم يعد أى من
رجالى ، الذين أرسلتهم للتخلص منه .. لقد نجحوا فى
إحراق الكوخ ، ولكنهم لم ينجحوا فى القضاء عليه .
ارتبك رئيس الشرطة ، واضطرب أكثر ، وهو يقول :
- آه . بخصوص رجلك يا سنيورا ، لقد عثرنا على ..
لحم .. على جثتهم .

اتسعت عيناها بشدة ، وهى تهتف :

- جثتهم ١٢

أسرع الرجل يقول فى توتر بالغ :

- بعضهم أطلق عليهم النار ، وأحرق جثتهم وسط
الأشجار الكثيفة ، المحيطة بالكوخ
تفجرت موجة هائلة من السخطة فى أعماقها ، واشتعلت
نيران الغضب فى صدرها ورأسها . وهى تقول :
- ما نوع السلاح الذى قتلهم ؟

صمت الرجل لحظة ، وكأنما يبحث عن الجواب ،
فصرخت به فى ثورة :

- ما نوع السلاح ؟

ارتجف جسد الرجل وصوته ، وهو يجيب :

- هذا ما يدهشنى للغاية يا سنيورا . إنها رصاصات
من عيار خمسة وأربعين ، وهى رصاصات خاصة
بمعدات الشرطة هنا ، ولست أدري كيف ..

قاطعت فى صرامة عصبية :

- من من رجلك يعرف بأمر (زوكرمان) ؟
أزدد الرجل القليل من لعبه فى صعوبة ، وهو
يجيب :

- المفتش (بيلو) فقط يا سنيورا .

ثم استدرك فى سرعة :

- ولكنه واحد من أفضل رجالى ، فهو مطيع ، مخلص ،
ينفذ الأوامر عادة دون مناقشة ، و
قاطعت بنفس الصرامة :

- أعطنى كل ما لديك من معلومات عنه .. اسمه

عنوانه .. هوايته .. كل شيء .

حاول الرجل عينا أن يزدرد شيئاً من اللعاب ، عبر
حنقه الجاف ، قبل أن يدلى لها بكل ما طلبته ، فقالت
فى صرامة :

- فليكن .. سأقولى لنا الأمر .

اضطرب رئيس الشرطة أكثر ، وهو يقول :

- سنيورا . أؤكد لك إن (بابلو) هذا ..

قُطعت في لهفة لا تقبل المناقشة

- قلت : إنني سأتولى الأمر بنفسى

وانتهت المحادثة في غضب حقيقى ، وراجعت بيانات

(بابلو) ، قبل أن تغفم :

- سأتولى الأمر نهائياً .

وكان قولها هذا أشبه بحكم لا رجعة فيه .

حكم بالإعدام ..

★ ★ ★

وقف المفتش (بابلو) هادئاً ، أمام رئيس الشرطة ،

في مكتب هذا الأخير . الذى بدا متوتراً للغاية ، وهو
يقول :

- أنت تضع نفسك في موقف شديد الصعوبة ، بإصرارك

على أنه لا شأن لك بما حدث عند كوخ الأمريكى

يا (بابلو) .. كلاك يعلم أنك المسئول عن مصرع أولئك

الرجال هناك ، فلا داعى للسخرية منى ، أو الإنكار

الامر ، فلن يثبت المعمل الجنائى أن يثبت أن الرصاصات

التي قُتلَهم انطلقت من مسدسك الرسمى بالتحديد .

هز (بابلو) كتفيه في بساطة ، وهو يقول :

- عظيم .. دعنا ننتظر تقريرهم الرسمى إذن .

ثم التفت مسدسه من غمده ، ووضع أمام رئيسه ،

مستطرداً :

- وهذا هو ذا مسدس الرسمى ، ليسهل عليهم مهمتهم .

رمقه رئيسه بنظرة تجمع ما بين الشك والحذر ، قبل

أن يلتقط المسدس ، ويدنى فوهته من أنفه ، ثم يقول

في عصبية :

- هذا المسدس لم يُطلق منذ فترة طويلة .

ارتسمت على شفتى (بابلو) ابتسامة لم ترق له ،

وهو يقول :

- ألم أقل لك ؟

اتعقد حاجبا الرجل أكثر ، وقال في صرامة .

- المعمل الجنائى سيراجع الرقم المسلسل لمسدسك

بالتطبع .

أجابه (بابلو) بهدوء مستفز :

- بالتطبع

عاد الرجل يتطلع إلى المسدس طويلاً في شك ، ثم

رفع عينيه مرة أخرى نحو (بابلو) ، وقال في توتر :

- (بابلو) .. حاول أن تتعاون معى إنسى أفعل

هذا لصالحك .

سأله (بابلو) ببراءة مصطنعة :

- وهل هناك وسيلة أخرى لتعاون أكثر يا سيدي .
احتقن وجه رئيس الشرطة في غضب ، وهتف به :
- كلا . لا توجد وسيلة أخرى . لقد بذلت كل
ما بوسعي لمعاونتك ، ولكنك ترفض هذا . هيا .. اغرب
عن وجهي ، والويل . كل الويل لك ، لو تبين لي أن لك
بدأ في هذا .. هيا .. لذهب .
أجابه (بابلو) بابتسامة أكثر استفزازاً ، وهو يفادر
المكان :

- كما تأمر يا سيدي .

واحتقت في أعماقه ضحكة ساخرة شامتة ، ولم تجد
مكاناً لتتطلى ، إلا عندما استقل سيارته الصغيرة ،
وابتعد بها عن المكان ، ليقول في حزم .

- هيا يا رئيس الشرطة الوعد . دع أعصابك تلهب
أكثر وأكثر . حتى تفقد السيطرة عليها ، وتركب الخطأ
الذي أنتظره ، وعندئذ ..

لم يكن بحاجة إلى إتمام عبارته . ليكمل المقصود
المقصود ، لذا فقد اكتفى بمط شففيه ، وهز كتفيه ،
وهو ينطلق بالسيارة في مسار معقد ، وعبر عدد من
الشوارع المتقطعة ، ليضمن إلى أن أحداً لا يتبعه ، ثم
لم يثبت أن اتجه إلى منزل هاديء ، في أطراف المدينة

وأوقف سيارته في ركن خفي منه ، وصعد إلى طابقه
الثاني في خفة ، ودق بابه دقتين سريعتين ، وانتظر
لحظات ، حتى انفتح الباب ، وأطل منه (جان زوكرمان) ،
هامساً في توتر :

- لماذا تأخرت ؟ لقد أصابني قلق شديد .

دلف (بابلو) إلى المكان ، وأغلق الباب خلفه في
سرعة ، وهو يقول :

- كنت أمارس النوبة التي اتفقتا عليها مع الرئيس ..
لقد اتهمني صراحة بأنني المسنول عن مصرع
المجرمين ، وطلب مسدسي لفحصه ، فمنحته إياه بكل
هدوء . مما أثار المزيد من عصبية وتوتره :

سأله (زوكرمان) في قلق :

- ألا تخشى أن يكشف أمره ؟

هز (بابلو) رأسه نفياً ، وقال :

- كلا ، فمسدسي من طراز (بريتا) ، وماسورته
تفصل عنه بالكامل ، ولقد استبدلت بها ماسورة أخرى
لمسدس جديد ، لم ينطلق قط ، ثم غسلت فوهة مسدسي
بالحل والكحول ، مما أزال أي أثر لرائحة البارود
القديمة ، وعندما يطنقون رصاصة منه ، لمقارنتها
بالرصاصات التي قتلت أوثنك المجرمين ، سيجدون أنها

مختلفة تماماً ، لأن العلامات التي يستدلون منها على السلاح ، تنشأ من مرور الرصاص في الماسورة المخشخنة للمسدس . ولقد استبدلت بماسورة مسدسى كما أخبرتك .

حق (زوكرمان) في وجهه لحظات في دهشة ، قبل أن يهتز رأسه مبهوراً ، ويغمغم :
- يا لك من داهية !

ابتسم (بابلو) وهو يقول :
- إنه الجانب الأسود للخبرات المكتسبة من العمل .
سأله (زوكرمان) في اهتمام :
- وهل تعتقد أننا سننجح في كشف أمر رئيس الشرطة ، وصلته بالمنظمة السرية لسنينورا ، على الرغم من أننا وحدنا نعرف السر ، وموقع القصر ؟
أشار (بابلو) بيده ، قائلاً :

- الرجل من الطراز الذي يفقد السيطرة على أعصابه في سهولة . وعندما يحدث هذا ، فانه سيرتكب بعض الأخطاء حتماً ، وعندئذ ..

بتر عبارته بغصة ، وهب من مقعده بحركة حادة ، جعلت (زوكرمان) يهتف مذعوراً :
- ماذا ؟ .. ماذا حدث ؟!

أجابه (بابلو) في توتر شديد :

- شخص ما يقترب من هنا .. بل شخصان أو ثلاثة .. لقد سمعت صوت مرورهم الحذر عبر الأشجار المحيطة بالمنزل ، من ناحيتين على الأقل .

تفتت (زوكرمان) حوله في ذعر ، قائلاً :
- يا إلهي ! .. لقد كشفوا مخبئي ، ولن يتركوني حياً أبداً .

اندفع (بابلو) نحو دولا ب صفر ، وفتح أحد أدراجيه ، واختطف منه مسدسين . ألقى أحدهما لـ (زوكرمان) ، وهو يقول :

- لن نمتسلم بسهولة . سندافع عن أنفسنا حتى آخر رمق .

ولم يكذب بتم عبرته ، حتى اخترقت الزجاج قبيلة دخان ، وانفجرت وسط المكان . وانطلقت منها سحب كثيفة . جعلت (زوكرمان) يسعل بشدة ، وهو يقول في رعب هائل :

- رباه ! .. إنهم يكررون ما فعلوه بكوخي . سيحرقوننا أحياء .

هتف به (بابلو) وهو لا يستطيع مقاومة سعاله :
- قاوم يا رجل . قاوم بالله عنيك ، وإلا اصطادونا كالجرذان .

قالتها ، وهو يزحف نحو التافذة في صعوبة ، ويرفع رأسه في حذر للتطلع غيرها ، و ..

واتسعت عيناه في دهشة ورعب ..

فهناك ، وعلى مسافة عشرة أمتار من المنزل ، رأى رجلين يقفان في وضوح ، وعلى كتف كل منهما مدفع صاروخي ، يستعد لإطلاقه نحو المنزل ..

وبكل سرعته ، تراجع (بابلو) صارخا :

- احترس يا (زوكرمان) .. احترس ..

ومع صيحته ، انطلق الصاروخ الأول نحو المنزل .

ودوى الانفجار ..

وفي عصف ، اندفع جسداهما إلى الامام ، وارتطما بالجدار المقابل ، وسقطت فوقهما عشرات الشظايا ،

وهتف (زوكرمان) في لوتياح :

- لا فائدة لقد عثروا علينا هذه المرة لا فائدة

اتسعت عينا (بابلو) في هلع ، وهو يحدق ، عبر العجوة التي أحدثها الانفجار في الجدار ، في الرجلين ،

الذين صوب مدفعيهما مرة أخرى إلى المنزل ، وسمع أحدهما يقول ساخرًا :

- وداعا مفتش الشرطة الأحمق ، وبأيها الأمريكي

العنيد .

واتنفذ جسد (زوكرمان) في عصف ، وقد ليقن من أن الصاروخ للقلم سيحمل إليهما زائرا بغیضًا لا فكاه منه ..

الموت ..

أما (بابلو) ، فقد بحثت يده في توتر بالغ عن مسدسه ، الذي فقده مع الانفجار ، وتمتم في مرارة :

- لللعنة ! .. لللعنة ! .. إننا نحتاج إلى معجزة لتنجو من هذا .

واستعد المجرمان لضغط زنلدي مدفعيهما ، و ...

وفجأة ، حدثت المعجزة ..

فجأة ، برزت فتاة من بين الأشجار ، ووثبتت تركل مدفع أحد الرجلين ، وهي تقول بالأسبانية في سخرية :

- من العيب أن تحمل مدفعا في حضرة أنسة يا رجل .

كانت مفاجأة مذهشة للرجل ، الذي التفت إليها في هدة ، هاتفا :

- يا للشيطان ! .. ما هذا بالضبط ؟

ولم يكذب يتم هتافه ، حتى كانت قدم الفتاة الثانية تركل أنفه في قوة ، وهي تقول بنفس اللهجة الساخرة :

- فتاة جميلة أيها اللوغد ، لم أن ملامحي لا تناسب هذا الوصف ؟

سقط الرجل مع عصف الضربة ، في حين استدار
زميله إلى الفتاة ، وصوب إليها مدفعه ، صارخاً في
غضب :

- جميلة أو قبيحة - اذهبي إلى الجحيم أينما النعينة !
ولكن أصابع فولاذية انغمرت في كتفه بغتة ، مع
صوت صارم يقول :

- أسلوبك غير مهذب يا هذا .

انفتحت الرجل في سرعة إلى مصدر الصوت الجديد ،
وقبل أن تكتمل المفاتحة ، استقبلته لكمة كائسبة في
أنفه ، ثم أعقبها ثانية في معدته . وبعد صاعقة
اقتلعت ثلث من أسنانه الأمامية . وأنفته فاقد الوعي .
والدماء تتدفق في عرارة من أنفه وفمه
أما زميله ، فقد حاول مهاجمة الفتاة . إلا أنها تفادت
انقباضه في مرونة مدهشة ، ثم وثت إلى أعلى في
رشاقة ، وضمت ركبتيها إلى صدرها ، وهي تقول
ساخرة

- هذا عيب الاعتماد الدائم على الأسلحة النارية
وشردت قدميه بحركة مساعاة ، ليرتطم كعها جداً عليها
بوجهه في أن واحد ، وهي تستطرد :

- إنها تعلم حاملها الغرور .

ثم هبطت على قدميها ، وأصابت أنفه بلكمة قوية
مباشرة ، مضيفة :

- والكسل .

هوى المجرم الثاني فاقد الوعي . تحت قدمي الفتاة ،
التي نقصت كفيها في مرجح ، قائلة لزميلها :

- ما رأيك ؟

هز زميلها كتفيه ، قتلاً :

- لم يكن القتال متكافئاً .

ثم أشار إلى غريمها ، مستطرداً :

- بالنسبة له .

تهدت في ارتياح ، وهي تلقى نظرة على خصمها
الفقد الوعي ، في نفس اللحظة التي بهض فيها
(بابلو) ، وتقدم من الحذار المتهزم في حذر ، وهو
يسأل الرجل :

- لقد انفتحت حياتك . ولكن من انما ؟ وكيف وصلت
إلى هنا ؟!

أجاب الرجل في عدوء ، وبلهجة مكسيكية صميعة :

- ليس المهم كيف وصلنا ، وإنما المهم هو أننا وصلنا
في الوقت المناسب أم اسمي فهو (أميجو)
(أميجو صلتو) (*) .

(*) راجع قصة (لمسة قشر) .. المضمرة رقم ٨٥

ترد (زوكرمان) لحظة ، وهو يتطلع إليه بدوره ،
قتلاً :

- أعدوا أنت لم صديق ؟!

ابتسم (أدهم صبرو) ، وأشار إلى الرجلين اللقائى
الوعى ، قتلًا :

- ما رأيك ؟!

أجله (بابلو) فى سرعة :

- ربما كنت خدعة لكسب ثقتنا .

ابتسم (أدهم) ، فى حين ضحكت (جيهان) قائلة :

- فكرة رائعة يا رجل ، ولكنها ليست خدعة .. لقد

أتينا لمقابلتكما خصيصاً بشأن الصورة .

سأله (زوكرمان) جتراً :

- أية صورة ؟!

أجله (أدهم) فى حزم :

- صورة ذلك القصر العامض يا رجل الصورة التى

تم نشرها فى مجلة (تايم) . لقد أثارت انتباهنا ،

وجعلتنا نستقل طائرة خاصة ، من (نيويورك) إلى

هنا ، لتبحث عنك بالتحديد ، فقد أكدت تحرياتنا أنك

وحدك تعرف موقع ذلك القصر ، الذى لكبت زوجتك

مصرعها من أجله .

ثم التقى حاجباه ، وتضاعفت نبرة الصرامة والحزم
فى صوته ، وهو يضيف :

- ونحن نريد معرفة موقع ذلك القصر يا مستر

(زوكرمان) .. وبأى ثمن .

هم (زوكرمان) بسؤاله عن سر رغبتهما العارمة

هذه ، ولكن فجأة ، اتسعت عيناه فى رعب ، وتراجع

هاتفاً :

- رباه !

وعندما استدارت (جيهان) فى سرعة إلى حيث

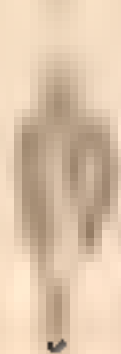
يحدث ، وقع بصرها على مجرم ثالث ، يحتفى بجذع

شجرة ضخمة ، ويصوب مسدسه إلى رأس (أدهم)

مباشرة ، و ...

ويطلق النار ..

وباحكم



٧ - الخيط ..

ارتجفت كل خلية في جسد الممرضة المسكينة ، في
قبو قصر السنيورا ، وراح صدرها يعلو ويهبط في
الفعال ، والدموع تغرق وجهها ، وهي تقول للطبيب :
- ستقتلنا حتماً . أكاد أقرأ الأفكار التي تدور في
رأسها المجنون . لن تسمح لنا بالعيش قط ، بعد أن
كشفنا سرها . إنها لم تفكر لحظة واحدة في إطلاق
سراحنا ، منذ أحضرتنا إلى هنا . إنني لم أعد أحتمل
هذا .. لم أعد أحتمله أبداً .

قالت لها ، وانحرفت في بكاء حار ، فحاول الطبيب
تهديتها ، على الرغم من ذعره الشديد ، الذي يجرى في
عروقه مجرى الدم ، وهو يقول :

- حاولي ألا تفكري في هذا يا عزيزتي . كل ما نملكه
الآن هو أن تؤذي واجبنا فحسب .

هتفت في مرارة :

- أي واجب هذا ؟ .. أن نرعى امرأة تحضر ، دون
أن نملك شيئاً لإنقاذها ؟ .. إننا لا نفعل شيئاً في
الواقع .. إننا فقط نشارك تلك البائسة مصيرها المحتوم ..
الفارق الوحيد بيننا وبينها هو أنها لا تدري بما
ينتظرها ، في حين نحيا نحن كل لحظة في انتظار الموت .
التقط الطبيب نفساً عميقاً ، قبل أن يقول :

- لا أحد يدري ما الذي يمكن أن تحمله الدقيقة القادمة
يا عزيزتي . يمكنك أن تتخيلي أننا في حرب ، وأننا
نبذل قصارى جهدنا لمساعدة مرضانا ، في حدود الإمكانيات
المتاحة .

بكت على صدره ، قليلة :

- لا أريد أن أموت .

ربت على ظهرها ، مضطماً :

- الموتات لا ريب . ولا أحد يدري متى ولا أين
يموت ، ولا أحد ..

توقفت بفتة ، على نحو انتفض له جسدها في عنف ،
وهي ترتد عنه ، هاتفة في ارتياح مذعور .

- ماذا حدث ؟

أشار إلى رسام المخ الكهربى ، وهو يقول في توتر :
- هناك نشاط زائد في المخ

التفتت الممرضة في دهشة إلى الخطوط المتعرجة ،
التي يرسمها الجهاز . قبل أن تنغم في حيرة :

- عجباً !.. كيف يمكن أن يحدث هذا ؟

مال الطبيب على الشريط الورقي ، ليفحص الخطوط
عن قرب ، قبل أن يهز رأسه ، قائلاً :

- لست أدري .. إنه نشاط مبالغ للغاية ، كما لو أنه
يصدر عن شخص في كامل وعيه ، يعاني توتراً شديداً ،
أو يواجه موقفاً عصيباً .

التفتت الممرضة إلى (منى) في دهشة ، ثم اندفعت
نحوها . تفحص نبضها ومعدل تنفسها وبؤبؤ عينيها ،
قبل أن تقول :

- ولكن . ولكنها فقرة الوعي بالفعل .

عدّل الطبيب وضع منظاره الطبي على عينيها . وهو
يقول متوتراً :

- هذا مؤشر بالغ الخطورة بالفعل

سألته الممرضة في قلق :

- مؤشر لماذا ؟ .. هل تعتقد أنها في طريقها لاستعادة
وعياها ؟

صمت لحظة ، قبل أن يهز رأسه نفياً ، ويجيب :

- ليس بانصرورة . ربما هي مجرد صحوة مخية .

رأيت في تسلول :

- صحوة مخية ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وتنهد في عمق ، قبل أن يعتدل ،
مضغماً :

- نعم . إنها حالة خاصة ، يمر بها أحياناً بعض
المصابين بغيوبة عميقة كهذه .. نوبة من النشاط
الزائد المبغت للمخ ، وكأنما انطلقت طاقته كلها دفعة
واحدة ، ثم ...

بتر عبارته دون مبرر ، وهو يهز رأسه على نحو
أفلقها ، لسألته في حذر :

- ثم ماذا ؟

تنهد مرة أخرى ، وهي تتطلع إليها ، ثم أجاب :

- ثم تنهار للوقلف المخية ، و

وتسفل حرن عميق إلى صوته ، مع استطراده :

- ويأتي الموت .

شبهت الممرضة في قوة ، ووضعت يدها على
صدرها ، وعينها تتعلقان بـ (منى) ، ثم ران على
المكان صمت رهيب عميق ..

صمت أشبه بالضياع ..

أو الموت ..

★ ★ ★

كان الرجال الثلاثة ، الذين أرسلتهم السنيورا
للتخلص من (بابلو) و (زوكرمان) من المحترفين
بحق

لقد تتبعوا (بابلو) في حذر وبراعة شديدين ، حتى
أنه ، وعلى الرغم من خبرته ، لم يتنبه إليهم ، حتى
بلغ المنزل ، الذي أخفى فيه (زوكرمان) ..
وعندما تأكدوا من موقع الهدفين المظنوبين بالضبط ،
انتقلوا إلى مرحلة للتنفيذ ..

وكأي فريق من المحترفين ، تولّى أحدهم مراقبة
الطريق ، في حين حمل زميله مدفعين صاروخيين
لتنفيذ المهمة ..

ثم ظهر (أدهم) و (جيهان) بغتة .

وانقست الأمور كلها رأساً على عقب

ومن مكنه ، شاهد المحترف الثالث ما حدث ،
وهرع إلى موقع القتال ، الذي لم يستغرق سوى دقيقة
واحدة أو أقل ، قبل أن يسيطر (أدهم) و (جيهان)
على الموقف تماماً ..

وبكل عضبه وحنقه وحقده ، وبكل ما يعربد في
أعماقه من رغبة في الثأر ، احتسى الرجل بجذع شجرة
ضخم ، وصوب مسدسه إلى (أدهم) ..

وأطلق النار ..

وبمنتهى الأحكام ..

ولكن الهدف لم يقف في انتظار الرصاصة ..

لقد تحرك بسرعة مذهلة ، قبل نصف ثانية من
انطلاقها ، ووثب جانباً ، فتجاوزته الرصاصة بسننيمترات
قليلة ..

وقبل أن يطلق المحترف رصاصته الثانية ، رأى
(أدهم) يدعو نحوه كليث غاضب ..

وعلى الرغم من أن المحترف هو الذي يحمل
السلاح ، وأن (أدهم) ينقض عليه بلا أسلحة ، فقد
وجد الرجل نفسه يتراجع في توتر شديد ، وهو يصرخ
به :

- لا .. لا تقرب .

وعندما انطلقت رصاصته الثانية ، كان (أدهم) قد
وثب نحوه كالفهد ، وأمسك معصمه ، وأبعد ماسورة
المسدس عن جسده ..

وفي نفس اللحظة التي انطلقت فيها الرصاصة في
الهواء ، كانت قبضة (أدهم) تحطم فك الرجل وأنفه
بكنمتين ساحقتين سريعتين ، وتسقطه فاقد الوعي .

ووسط الصمت المهيّب ، الذى خيم على المكان ،
 ارتفع صوت تصفيق (جيهان) . وهى تقول :
 - مشهد رائع يا سيادة العقيد .. أهيك . أراهن على
 أن الرجل قد فقد وعيه . قبل أن يدرك حتى ما أصابه .
 أجابها (أدهم) فى هدوء :
 - المهم ألا يفقد وعيه لفترة طويلة ، فسنحتاج إلى
 استجوابه حتماً .
 هبط (بابلو) و (زوكرمان) إليهما فى سرعة ،
 وهتف الأول مبهوراً :
 - من أنت يا رجل ؟ . إنك تقاتل على نحو مدهش .
 لم أر مثله فى حياتى قط ' .. أنت محترف ؟'
 التفت إليه (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :
 - بالتأكيد . ولكن هذا لن يصنع فرقا الآن ، فالوقت
 ضيق للغاية ، وأريد معرفة كل ما لديكما من معلومات ،
 حول تلك القصر فى الصورة .
 سأله (زوكرمان) فى حذر :
 - قل لى يا سنيور (أميجو) : كيف عثرت علينا ؟
 أشار (أدهم) إلى الرجال الفاقدين للوعى . الذين
 انهمكت (جيهان) فى تقييدهم فى ضجر ، وهو يقول :



كانت امرأة (أدهم) تحطم تلك الرجل وأمه بكنسين
 صاحبتين صريحتين ، وتسلطه فاقده للوعى ..

- بنفس الوسيلة التي عثر عليهما بها هؤلاء الأوغاد ..
 ففي طريقنا من (نيويورك) إلى هنا ، رحنا نجمع كل
 ما أمكننا من معلومات عن الصورة ، وعنك ، وعن
 زوجتك الراحلة ، وعن طريق عدد من معاونينا
 ورجالنا هنا ، عرفنا أمر احتراق كوخك ، واختفائك ،
 وعرفنا أيضا أن رئيس الشرطة ليس فوق مستوى
 الشبهات ، وأنه يشتك في أن المفتش (بابلو) هو
 الرجل الذي أتفك من الحريق المدبر ، والمسنول عن
 مصرع المجرمين ، الذين تسببوا في حرقه ، وحاولوا
 قتلك ، وهكذا لم نكد نهبط من الطائرة ، حتى اتجهنا إلى
 مركز الشرطة مباشرة ، وحصلنا برشوة بسيطة على
 كل المعلومات الخاصة بالمفتش (بابلو) وعلى
 صورته ، فتبعناه وتبعنا المجرمين الذين يراقبونه إلى
 هنا .

ثم ابتسم ، مكملاً :

- خطة بسيطة .. أليس كذلك ؟

هتف (بابلو) في حماس :

- بالنسبة لمحترف مثلك فحسب .

غمغم (أدوم) :

- أشكرك . والآن ما الذي تعلمته عن ذلك القصر ؟

أجابه (زوكرمان) بسرعة :
 - موقعه فحسب . وليس بدقة أيضا .
 وأضاف (بابلو) في حماس :
 - ويمكننا أن نقودك إلى المنطقة ، التي يمكنك رؤيتها
 منها .

اتعقد حاجبا (أدوم) ، وهو يقول :

- هذا لا يكفي أيها السيدان ، فلو أن هذا القصر هو
 وكر السنيورا ، فهو حتما قلعة حصينة ، لا يمكن
 دخولها أو حتى الاقتراب منها في سهولة .

تبادل (زوكرمان) و (بابلو) نظرة متوترة ، قبل
 أن يغمم الأول :

- ولكن هذا كل ما تعرفه عنه .

تتهذ (أدوم) في توتر ، وقال :

- فليكن . لست أنكر أن معرفة موقعه أمر بالغ الأهمية ،

ولكن المعلومات الأخرى لا تقل أهمية أيضا

سأله (بابلو) :

- وكيف يمكن الحصول عليها ؟

أشار (أدوم) إلى المحترف الثالث ، قائلاً :

- بواسطة هذا الوغد .

ثم انحنى يحمل الرجل على كتفه فى بساطة مدهشة .
 كما لو أنه يحمل طفلاً رضيعاً ، وهو يكمل فى حزم :
 - ولكن ليس هنا ، فالمكان لم يعد آمناً .
 ابتممت (جيهان) فى مخزية ، قاتلة .
 - ولم " لقد انفجر صاروخ واحد فحسب ، حتى
 أن أحداً من رجال الشرطة لم يحاول القدوم لمعرفة
 سبب الانفجار ، ولو من باب الفضول
 مط (باولو) شفّتيه ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول :
 - أراهن على أن لديهم أوامر بعدم الاقتراب .
 أجاهه (أدهم) فى صرامة :
 - فليكن . هذا ليس أمراً غير متوقع ، ولا داعى لأن
 نضيع فى مناقشته لحظة واحدة . هيا بنا
 كان من الواضح أنه لا يرغب بالفعل فى اضاءة
 لحظة واحدة بلا طائل ، وأن الوقت له قيمة قصوى
 بالنسبة إليه ..
 هذا لأن الوقت يضى بالنسبة إليه الفارق بين حياة
 وموت أحب الناس إليه ..
 (منى توفيق) .
 (منى) التى لا يدري أنها قد تلفظ أنفاسها الأخيرة ،
 قبل أن تنتهى المهنة ، التى حددتها السنيورا لموتها ..

قبل مطلع الفجر ..



قرأ مدير المخابرات المصرية فى عناية بالغة ،
 للمرة الثالثة على التوالى ، التقرير المفصل ، الذى
 أرسله (ناشد) من نيويورك ، ثم تنهد فى عمق ، وهو
 يضعه على مكتبه ، ويرفع عينيه إلى نائبه ، قائلاً :
 - كنت أعلم أن (أدهم) لن يتراجع ، قبل أن يستعيد
 (منى) ، حتى ولو ذهب إلى آخر الدنيا .
 ضغم نائبه :
 - (المكسيك) ليست آخر الدنيا
 لوماً للمدير برأسه ، متفهّماً :
 - بالتأكيد ، ولكنها المحطة الأخيرة فى هذا الصراع
 وارتسمت على شفّتيه ابتسامة بهّة ، وهو يهز
 رأسه مكملاً :
 - تعلمنا كما يحدث فى أفلام السينما ، الأشرار
 تساقطوا واحداً بعد الآخر ، والأعداء أصبحوا أصدقاء ،
 وبعدها يتفرّع البطل لمواجهة الشرير الرئيسى فى
 الفيلم .
 وتنهد ثانية ، وتراجع فى مقعده ، ليسأل نائبه فى
 شيء من العصبية :

- هل تعتقد أن الأمر سيكتمل على نفس النحو المثالي ،
لدى تنتهي به أفلام السينما ؟ . البطل ينتصر ، ويظفر
بالبغاة الجميلة ، ويهزم كل الأشرار ، ثم تأتي كنمة
النهاية مع موسيقى حماسية .

حاول نائبه أن يبتسم ، وهو يقول :

- الحياة الواقعية تختلف كثيراً عن أفلام السينما .

أجاب المدير في شيء من الشرود :

- في بعض الأمور الأساسية .

وشرد ببصره وتفكيره بضع لحظات ، قبل أن يتابع :

- ولكن من يدري .

تطلع إليه نائبه لحظة ، قبل أن يسأله في اهتمام :

- سيدي المدير لماذا تشعر بقلق زائد على (أدهم)

هذه المرة ؟

هز المدير رأسه ، مجيباً :

- نمت أدرى . ينتابني شعور قوي هذه المرة ، بأنه

يواجه خطراً لا قبل له به ، وأن الأمور لن تسير معه

بالطريقة نفسها . انتهى تسير بها في كل مرة

ألقي نائبه نظرة على ساعته ، قائلاً :

- ما رالت أمامه ساعات خمس ، قبل المهلة التي

حددتها تلك السنيورا العامضة هل تحب أن نرسل له

مساعدة عاجلة ؟ . لدينا ثلاثة من رجالنا في
(نيومكسيكو) ، و ..

قاطعه المدير :

- لن يصلح هذا .

وتشهد للمرة الثالثة ، قبل أن يضيف :

- (أدهم) يبلغ في المعتقد ذروة تألقه ، عندما يعمل
منفرداً .

ثم عاد إلى صمته وشروده لحظة ، وأكمل :

- كل ما يمكننا أن نفعله من أجله ، هو أن نتمنى له
التوفيق .

قائلاً ، وكل ذرة في كيانه تشعر بقلق لا مثيل له ..

قلق يختلف عن كل القلق الذي شعر به من قبل ، في
أية مهمة أسندها إلى (أدهم) ..

قلق يصرخ في أعماقه . بأن هذه المهمة سيكون لها
طابع خاص ..

وأنها ستختلف عن كل ما سبقها ..

ستختلف تماماً .

★ ★ ★

انتفض جسد المجرم في عنف ، وانطلقت من حلقه
شهقة ، عندما ارتطم للماء البارد بوجهه ، واستعاد

وعيه دفعة واحدة . وحدث في الوجوه المحيطة به . ثم لم يلبث أن ارتجف في قوة . وأطلقت من عينيه نظرة ارتياح . عندما توقف بصره عند وجه (أدهم) . الذي سال نحوه . وتطلع إلى عينيه مباشرة . قائلاً في صرامة :

- جميل منك أن استعدت وعيك بسرعة أنها للوغد ! فلم يكن لدينا ما نضيقه من وقت من أجل هذا .
قال الرجل في دعر . وهو يحاول التخلص من القيود التي تربطه إلى مقعده الثقيل :

- ماذا تريد مني ؟

أجابه (أدهم) بقضاب مخيف :

- الكثير .

ثم مال نحوه أكثر . وسأل :

- كيف يمكن دخول قصر السنيورا ؟

حدث الرجل في وجهه لحظة . قبل أن يقول في عصبية :

- هل تتوقع مني أن أتحدث معك في أمر كهذا ؟

أجابه (أدهم) في لهجة جمدت الدم في عروقه :

- لست أتوقع هذا . وإنما أتق تماماً بحدوثه . فكما أخبرتك ليس لدى دقبة واحدة يمكن إضاعتها . وهذا

يفنى أننا لن أتورع عن القيام بأي عمل ممكن . مهما بلغت قسوته : لأتزع منك كل ما أبتغيه من معلومات . وسيكون من سوء حظك ألا تصدق هذا . أو تحاول معاندتي أو مقاومتى . فسيكون ثمن ذلك غالياً .. بل وأعلى مما يمكنك تصوّره .

تطلع الرجل إلى عينيه في توتر شديد . وانفجرت شفاهه ليقول شيئاً ما . ثم لم يلبث أن عاد بطبقهما . ويهز رأسه في عصبية . قبل أن يقول في حدة :

- لن يفيدك أي شيء أقوله . فدخل قصر السنيورا مستحيل . ما لم تصمح هي نفسها لك بهذا

ابتسمت (جيهان) في سخرية . وهي تقول

- هذا ما يتصوره أمثالك من الحمقى ومحدودي التفكير با رجل . أما الواقع أمامك فيمكنه أن يتحول في غمضة عين إلى نسخة طبق الأصل منك . بحيث تعجز أمك نفسها عن التمييز بينكما . ويعبر بوابة قصر السنيورا دون أن يشك مخلوق واحد في أمره

التفت إليها الرجل . قائلاً في عصبية :

- حتى ولو فعل هذا . لن يمكنه تجاوز البوابة . وهو على قيد الحياة . فوسائل الأمن المتبعة تبغ حداً من الكمال . يستحيل خداعه أو التحايل عليه . إنهم

يفحصون كل من يدخل ، بكل الوسائل التكنولوجية
المعروفة .. بصماته .. مقببسه .. وحتى وزنه .. وهم
يفحصون وجهه بالأشعة فوق البنفسجية ، ويتأكدون من
طبيعة بشرته ، ويمررونه أمام جهاز أشعة (إكس) ،
والأشعة دون الحمراء ، وحتى الموجات الصوتية ..
هذا بالإضافة إلى الأسوار العالية المكهربة ، وأبراج
الحراسة ، وأجهزة الرؤية الليلية ، التي تحيل ظلام
الليل إلى نهار ، في أعين رجال المراقبة ، وذلك للتوء
الجبلى ، الذى يحمى قمة القصر ، ويمنع رؤيته من
الجو ، ونقطة الحراسة فوقه ، لمنع أى إيراد جوى ،
أو هبوط بالمظلات ، والمدفع المضاد للطائرات على
الجبلى ، و ...

بتر عبارته بفتة ، واتسعت عيناه فى ارتياح ، عندما
انتبه إلى أنه يدنى إليهم بالتفعل بكل ما يسعون إليه ،
وارتجف جسده فى عنف ، وهو يقول :
- ولكن ، ولكنكم لن تبلغوا السنيورا أننى أخبركم
بهذا .. أليس كذلك ؟

اعتدل (بابلو) ، وهو يقول :
- اطمئن أيها الوغد .. لن يبلغها أحد .. ومن يدري ؟
ربما لا يكون لها وجود عندما تعود .

سأله الرجل بصوت مرتجف :
- أعود من ماذا ؟!

هو (بابلو) على فكه بكلمة كالقنبلة ، مجيباً :
- من غيبوبة عميقة .

اعتقد حاجبا (لاهم) فى غضب ، وهو يقول :
- كيف تضرب رجلاً أعزل ؟

قال (بابلو) فى حدة :

- أنا لم أضرب رجلاً ، وإنما لكمت مجرمًا .

صاح به (لاهم) :

- المهم أنه أعزل ومقيّد إلى مقعده .

هتف (بابلو) غاضباً :

- عجب ! من أنت بالضبط يا رجل ؟! مندوب لجنة

حقوق الإنسان ؟!

لوح (لاهم) بسبابته فى وجهه ، وهو يقول :

- اسمع يا رجل .. حتى فى أحلك المواقف ، هناك

قواعد ينبغى اتباعها ..

اندفعت (جيهان) بينهما ، هاتفة :

- مهلاً .. الموقف لا يحتمل هذا الأفضل أن نبحث

عن وسيلة لدخول قصر السنيورا .

انعقد حاجبا (ادهم) فى غضب . وأشاح (بابنو)
بوجهه فى عصبية . فى حين قال (زوكرمان) متوترا :
- مما سمعناه من هذا المجرم . قبل أن يفقد وعيه .
يبدو لى أنه ما من وسيلة قط لدخول ذلك القصر .. من
الواضح أن نظامهم الأمنى محكم تماما .

التفت إليه (ادهم) ، قائلا فى حزم :
- لا يوجد نظم أمنى تام الاحكام . هناك حتما ثغرة ما

سأله (بابلو) فى عصبية :
- أرشدنا إليها إذن أيها العبقري .

أجابه (ادهم) فى صرامة :
- سأفعل بآذن الله .

قالها ، وعبر الصالة الواسعة بخطوتين كبيرتين ،
قبل أن يهدف الى حجرته . ويطلق بابها خلفه فى حزم
وثقوان . رآه على الصالة صمت ثقيل . لم يلبث
(زوكرمان) أن قطعه ، قتلًا فى ضيق واسف :

- لم يكن هناك داع لمصادتك يا (بابنو) . من
الواضح أنك غضبت السنيور (صاندو) ..

تعمم (بابلو) :

- لم أكن أقصد هذا .

ولكن (جيهان) اتبرت قللة :

- لا بأس .. السنيور (صاندو) ليس من طراز
الرجال ، الذين يمكن أن يلتهم الغضب عقولهم ، أو
يضي أبصارهم .. إنه رجل من طراز خاص ونادر ..
وأؤكد لكما أن كل ما يشغل عقله الآن هو كيفية
الوصول إلى هدفه . ولكنه يحتاج أحيانا إلى الوحدة
والعزلة ، حتى يمكنه تركيز أفكاره ، ودراسة موقفه
جيدا .

ثم أشارت إلى باب الحجرة ، مستطردة فى لهجة
تجمع ما بين الحزم والانبهار :

- ولكن تأكدا من أنه عندما يغادر هذه الحجرة ، سيكون
قد وضع يده على الثغرة فى نظام السنيورا الأمنى ،
وأعد خطته لعبورها .

والتقى حاجباها ، مع إضافتها الحاسمة :

- وعندئذ ستتغير الأمور . وستبدأ المواجهة التى
ينتظرها منذ البداية .. المواجهة الأخيرة .
وعاد الصمت يخيم على المكان كله ..
وعلى نحو أكثر مهابة ..

★ ★ ★

لا يوجد جهاز أمنى خال من الثغرات ..

هناك حتما وسيلة ما ، لتجاوز أى نظام أمنى ..

هذا ما تعلمه من والده (رحمه الله) منذ حدثته ..
وما تأكد منه بنفسه ، من طول عمله بالمخابرات
العامّة المصرية ..

ولكن في هذه المرة ، يبدو نظام السنيورا محكما
للفاية ..

لقد درست الأمر جيدا ، وحاولت ألا تترك ثغرة واحدة ،
يمكن أن ينفذ إليها منها خصومها ..
ولكنها بشر ..

مجرة بشر ..
مهما بلغ ذكائها وحرصها ..
ومهما بلغت عبقريتها ..
وما من بشر كامل ..

الكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده ..
والعقول ، مهما أتقت ، لا يمكنها الإحاطة بكل شيء ..
مستحيل !

دارت كل هذه الأفكار في ذهنه ، وهو يجلس وحده
داخل تلك الحجرة ، محاولا اعتصار عقله بكل طاقته ،
للبحث عن الثغرة المنشودة ..
وطوال الوقت ، راح يتطلع إلى صورة القصر ،
ويدرسها في إمعان شديد ..

ولكن عقله شرذ لحظات ، وانطلق يحلق في سماء
محبوبته ..

(منى) ..

تري كيف هي الآن ؟ ..

هل يحتمل جسدها الرقيق الضئيل كل هذا ؟ ..
لما زالت على قيد الحياة حقا ، أم أن تلك السنيورا
اللعينة قد تخلصت منها ، فور إرسال الصور والتقارير
الطبية ؟ ..

هبت في أعماقه عاصفة من الغضب ، عندما بلغ هذه
النقطة بتفكيره ، وأقسم على أن ينتقم من هذه السنيورا
شر انتقام ، لو أنها مسحت شعرة واحدة منها ..

ثم تصاعل للمرة الألف : من يمكن أن تكون تلك
السنيورا ؟ ..

من تلك الأقوى ، التي تبغضه كل هذا البغض ، وتبذل
كل هذه المصاعب للقضاء عليه وتدميره ؟ ..

وانطلق صوت يصرخ في أعماقه : ومن تكون
غيرها ؟ ..

(سونيا جراهام) ..

إنها الأنثى الوحيدة ، في هذا العالم كله ، التي تضمر
له كل هذا الشر ..

وكل هذا الحقد ..

ولكن (سونيا) لقيت مصرعها بالفعل مع ابنه (*) ..
ثم إن الصوت الذى سمعه لم يكن صوتها
المألوف !! ..

هذا ما أدركته حواسه ..

ولكن ماذا عما يشعر به فى أعماقه ؟ ..
ماذا عن الإيمان القوى فى أعماقه ، بأن (سونيا)
لا تزال على قيد الحياة ؟ ..
أهو مجرد أمل فى أن يكون ابنه منها أيضا ما زال
على قيد الحياة ؟ !! (**) ..

أم أنها قرأت تحتفى فى عقله الباطن ، ويعجز عقله
الواعى عن إدراكها أو استيعابها ..
أم هو حدس ، نمته الخبرة وسنوات القتال ، حتى
صار أشبه بالرؤيا الواقعية ؟ ..

انتبه فجأة إلى أنه تجاوز الفكرة الأساسية إلى أفكار
جانبية ، فهز رأسه فى قوة ، مضغ :
- لا يا (أدهم) . ليس لديك وقت لهذا .. ركز أفكارك
على نقطة واحدة . حياة (منى) قد تتوقف على حقيقة

(*) راجع قصة (الصلبة القصص) المعمرة رقم ١٠٠

(**) راجع قصة (جزيرة الجحيم) المعمرة رقم ٨٤

واحدة تفقدها .. هيا .. قتل لتجاوز ذلك الجبل الضخم ،
وتصل إلى الله ...

بتر عبارته بغثة ، وتألقت عيناه فى شدة ، وهو
يهتف :

- يا إلهى !

وبسرعة البرق ، راحت الأفكار تتدفق فى رأسه
كالمسيل ، وخفق قلبه فى قوة ..
حمدا لله ..

لقد توصل إلى الثغرة ، التى سينفذ منها إلى قصر
السنورا ..

الثغرة التى ستقوده إلى المواجهة المنشودة ..
للمواجهة الأخيرة .

★ ★ ★

٨ - الجبل ..

ألقت السنيورا نظرة متوترة على ساعة يدها ، التي أشارت عقاربها إلى منتصف الليل تقريبا ، ثم رفعت عينيها إلى مساعدتها ، قائلة في عصبية :

- لماذا لم يتصل الرجال أو يقدموا تقريرهم حتى الآن ؟! لقد أرسلتهم في مهمة بسيطة للقضاء على رجلين ، وليس من المفترض أن يستغرقوا كل هذا الوقت .

أجابتها مساعدتها في حذر :

- ربما لم يعثروا عليهما بعد .

نوهت السنيورا بيدها في حدة ، قائلة :

- هراء أنا أستمع دوماً بالمحترفين .

تردأت المساعدة بضع لحظات ، ثم قالت في حذر

أكثر :

- هذا ما يحدث منذ البداية يا سنيورا ، ولكن ..

لم تكن بحاجة إلى إتمام عبارتها ، لتثقل إليها المضي

المقصود ، فاحتقن وجه السنيورا في غضب ، وانعقد

حجبها الجميلان في شدة ، وقالت في عصبية :

- لا أحد يتصرف بالأسلوب الأمثل .

ثم لوحت بذراعها ، مستطردة في غضب :

- ولا أحد يطيع الأوامر كما ينبغي .

قالتها ، وأشعلت سيجارتها في عصبية شديدة ،

ونفثت دخانها في قوة ، وتوقفت لحظات أمام نافذة

حجرتها ، في الطابق العلوي ، تنطلع إلى رجال الحراسة

في ساحة القصر ، ثم لم تلبث أن التفتت في حركة حادة

إلى الهاتف ، واختطفت سماعته ، وضربت أزراره في

عصبية ، ولم تكد تسمع صوت محدثها ، حتى قالت في

حدة :

- أنتم أنت ؟ .. استيقظ يا رجل ، وأخبرني ماذا يحدث

هنا .

هب رئيس الشرطة من رقادته ، هاتفاً :

- أنا مستيقظ يا سنيورا .. ماذا هناك ؟ .. ماذا حدث ؟!

قالت غاضبة :

- أرسلت رجالي للتخلص من مفتشك النعير والمصور ،

ولكنني لم ألتق منهم أية تقارير حتى الآن .. ما الذي

يحدث في دائرتك ؟ .. ألم تصلك أية أخبار بعد ؟!

جلس على طرف فراشه ، وهو يقول مرتبكاً :

- ولكنني كنت أعتمد أن كل شيء قد انتهى

يا سنيورا .. لقد سمعنا جميعاً الانفجار في الحى الشمالى ،

وأمرت الرجال بتجاهله ، حتى لا نعوق عمل رجالك ،
والمفترض أن ..

قاطعه ثائرة :

- لا أريد أية افتراضات .. إنك لا تتقاضى أجرًا
لتمنحني افتراضات غير مؤكدة ، ولا لتخبرني بأرائك
الشخصية .. أريد حقائق يا رجل . هل تفهم ؟ . حقائق

ازدرد رئيس الشرطة لعبه في صعوبة ، وهو يغتم :

- هم تأمرين يا سنيورا ؟

أجابته في عصبية :

- أرسل رجالك لبحث الموقف ، وأبلغني كل ما تتوصل

إليه أولاً فأولاً .. هل تفهم ؟

أجاب متلعثماً :

- بالطبع يا سنيورا .. بالطبع .

اعتقت الهاتف في عصف ، وهي تنفت دخان سيجارتها

مرة أخرى ، فتمتعت بمساعدتها :

- رويدك يا سنيورا أراك شديدة العصبية الليلة

أجابتها السنيورا في حدة :

- لا يروق لي أي موقف غير منظم .. ثم إن هذه

الساعات شديدة الحساسية ، وأكره أن يفاجئني أي أمر

غير متوقع خلالها .

سألته المساعدة في خفوت :

- وما الذي يمكن حدوثه . خلال الساعات الخمس

المتبقية ، قبل مطلع الفجر ؟ إنك تسيطرين على

الموقف كله ، وتضعين (أدهم صبرى) هذا في الخانة

التي تريدينها بالاضبط ، فهو لن يغامر بحياة زميلته

الأثيرة ، حتى ولو كان الثمن هو حياته نفسها أليس

كذلك ؟!

عقدت السنيورا حاجبها الجميلين ، وهي تقول في

عصبية :

- لا يمكنك أن تخيئي ما يمكن أن يفعله ذلك الرجل ،

في هذه الفترة .

ونفت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قبل أن تستطرد :

- لم بكر بسفي ان امنحه كل هذه المهنة

نضعت ايها مساعدته لحظة في حيرة . وقالت .

- ولكنه لا يعرف حتى أين يجدنا ، فما الذي يمكن أن

يفعله ؟!

هزت السنيورا رأسها ، متممة :

- من يدري ؟!

وعادت تلوح بصمتها ، وتدخل سيجارتها لبعض

الوقت أمام السافذة ، ثم التفتت سماعة الهاتف الداخلي

هذه المرة . واتصلت برئيس طاقم الأمن ، وقالت فى
حزم :

- اسمعنى جيدا يا رجل . أريد أن تضاعف إجراءات
الحراسة والمراقبة الليلة .. نعم لدى أسبابى لهذا ..
أعلن حالة الطوارئ القصوى ، واتشر رجائك فى كل
ركن فى القصر . لا أريد أن تتجح نملة فى التسلسل إلى
هنا . دون أن ترصدها أجهزتك .. هل تفهم ؟!

وعندما أنهت الاتصال الداخلى ، سألتها مساعدتها :
- وماذا عن الفتاة ؟! هل ستقتنيناها بالفعل . مع
مطلع الفجر ؟!

أجابتها فى صرامة :

- السنيورا لا تتراجع عن كلمتها قط . لو أن (أدهم)
لم يقدد حياته قربانا لها . عند مطلع الفجر ، فسأقتنها
بنفسى .. وبلا رحمة .

فأنتها . وهى تعنى كل حرف من قولها .

كل حرف ..

فلو لم يحسم الأمر قبل مطلع الفجر ، ستقتل (منى
توفيق) بنفسها ..

وبلا رحمة ..



اتبطح (أدهم) على وجهه ، وهو يراقب قصر
السنيورا بمنظاره المزود بجهاز الرؤية الليلية ، وقال
لزميلته (جيهان) فى حزم :

- كل شيء كما توقعته تماما .. لا أحد يمكنه الاقتراب
من القصر لمسافة كيلو مترين كاملين ، دون أن يتم
رصده وتحديد هويته .

سألته فى قلق . وهى تفتح حقيبة كبيرة ، وتلتقط من
داخلها أجزاء مدفع محدود :

- هل تعتقد أن تنفيذ خطتك أمر ممكن ؟!

رفع منظاره إلى ذلك النوء الصغرى فوق القصر ،
وهو يجيب :

- الجبل هو السبيل الوحيد لدخول القصر يا عزيزتى .
وهذه هى انشغرة الوحيدة ، التى تركتها السنيورا فى
خطتها الامنية المحكمة . لقد اتخذت ما يلزم للتصدي
لهجوم بالطائرات ، أو هبوط بالمظلات ، ووضعت مدفعا
مضادا للطائرات . مع طاقم حراسة من أربعة رجال ،
على قمة الجبل ، ولكنها لم تضع فى حسابها احتمال
تسلل متسلق جبال عالى .

قالت ، وهى تبدأ فى تركيب أجزاء المدفع :

- ربما لأن رجلاً واحداً لا يمثل خطراً داهماً في المعتاد .

هز كتفيه ، متمتماً :

- من يدري ؟!

ونهض استعداداً لبدء دوره ، فحقق قلبها في عنف ، وقأت بسرعة ، وكأنها تحاول تأخيرها فحسب :

- لماذا لم توافق على اشتراك (بابو) و (زوكرمان)

معا في الهجوم ؟

أجابها في حزم ، وهو يعلق حقييته ، وأدوات تسلق الجبل ، والحبيل القوي على ظهره :

- اشتراكهم مبعوث بكثرة مساعدنا ، فـ (زوكرمان)

مدنى ، ومصرع زوجته بغضبه ، ولن يتصرف قط

باسلوب سنيد ، و (بابو) رجز شرسة ، غير مؤهل

لمثل هذا النوع من القتال ، ثوب أسود اسيفود به

لا يقل أهمية عما سنفعله .

ثم اعتدل ، وأكمل في صرامة :

- تذكرى الأهمية القصوى لتتوقيت يا (جيهان) ..

الدور الذى ستقومين به بالغ الأهمية ، بالنسبة لنجاح

مهمتى ، وأنا أعتمد عليك تملأ .

تهذج صوتها ، وهي تقول :

- لن أتردد فى فعل أى شئ من أجلك .

أشار بمسبأته ، قائلاً :

- دون عواطف يا عزيزتى .. دون عواطف .

ترقرقت الدموع فى عينيها ، عندما استعد للانطلاق ،

ونتممت :

- خذ حذرك جيداً .

للتقط نفساً عميقاً ، وأجاب :

- سأحاول .

ثم وثب من التبة الصخرية ، وتحرك بسرعة نحو

النقطة التى اختارها ، فتبعته ببصرها بضع لحظات ،

قبل أن تطلق سراح الدموع الحبيسة فى عينيها ،

لتحذر على وجبتها ، وهي تتمم :

- وفكك الله يا (أدهم) ، وحماك يا أحب الناس الى

فى

وعادت تواصل عندها ، وقبها يتفحص بين

ضلوعها ، ويصرخ بأن هذه اللحظات قد تكون آخر

لحظات تلتقى فيها به ..

فى الحياة الدنيا ..

أما هو ، فقد تحرك فى سرعة وخفة ، ودار حول

القصر كله ، حتى بلغ ما خلف الحبيل ، ثم راح يتسلق

الصخور إلى قمته ..

ولم يكن هذا بالمهمة السهلة أبدا .
لقد كان ذلك الجانب من الجبل يرتفع رأسيا تقريبا ،
وربما كان هذا هو السبب الذي دفع النظام الأمني
للسيورا إلى تجاهله ، كمَنطقة يمكن أن يأتي منها
الخطر ..

وطوال ساعة كاملة ، وبلا ملل أو تقاعس ، واصل
(أدهم) تسلقه للحبل ، مستعينا بكل قوته ، ومهاراته ،
وإصراره ، وإرادته ..
حتى بلغ القمة ..

ولدقائق خمس ، ترك جسده يسترخي ، وراح يلهث
بإيقاع منتظم ، في محاولة لاستعادة نشاطه ، والسيطرة
على أنفاسه ، وبدء المرحلة الجديدة من خطته المعقدة ،
وألقى نظرة على ساعة يده ، ثم تمتد .

- حمد الله كز شيء يسير وفق للخطّة
واعتدل ليشدّ قمته ، ويلين عضلاته المجهدة ، ثم
رفع رأسه في حرص ، ليلقى نظرة على رجال الحراسة
عند القمة ، و ..

وفجأة ، التصقت فوهة مدفع آلي باردة بصدغه ،
وسمع صوتا خشيا فظا ، يقول :
- انتهت الرحلة هنا يا رجل .



ثم وثب من اسفله الصخريه ، وبعزك سرعه نحو السطح التي احذرها

ومع نهاية القول ، برز ثلاثة رجال آخرون ،
يصوبون إلى (أدهم) فوهات مدافعهم الآلية ، وعلى
وجوههم ابتسامات تجمع ما بين الظفر والسخرية
والشماتة ..

وكانت مفاجأة ..

★ ★ ★

لم يستطع رئيس الأمن العام في (المكسيك) إخفاء
حقه وسخطه ، وهو يستقبل المفتش (بابلو) ، في تلك
الساعة المتأخرة ، ولم ينحج أيضاً في كتم تساويه ، قبل
أن يقول في شيء من العصبية :
- حسن أيها المفتش أنتم ان يكون السبب ، الذي
طُلبت من أحده مقاستي في هذه الساعة ، بالأهمية التي
تناسب مع الموقف .

أوماً (بابلو) برأسه إيجاباً ، وقال :

- إنه كذلك يا سيدي ، فهو يتعلق بالأمن العام
أمن الوطن والمواطنين .

مطّر رئيس الأمن شفّته بعدم اقتناع ، وسأل في ضجر :

- اهو جريمة كبرى ، أم حالة رشوة كبيرة ؟

عدّل (بابلو) في مجلسه ، والتقط نفساً عميقاً ،
قبل أن يجيب في حزم :

- بل خيانة يا سيدي .. خيانة عظمى .

اتسعت عينا الرجل ، ومال وجهه كله إلى الأمام في
دهشة بالغة ، وهو يحنق في وجه (بابلو) ، قبل أن
يقول مدعوراً :

- خيانة عظمى ؟!.. هل تدرك جيداً ما يعنيه هذا أيها

المفتش ؟!

أجابه (بابلو) في سرعة :

- تعلم الإدراك يا سيدي ، حتى أنني أغامر بمستقبلي
كله من أجل كشف الأمر ، وحماية الوطن .
التقى حاجبا رئيس الأمن . وأطل اهتمام شديد من
عينيه ، وهو يعتدل في مقعده ، ويشبك كفيه أمام
وجهه ، قللاً :

- ماذا لديك بالنسبة إليها المفتش ؟

وكتّم كان (بابلو) ينتظر هذا السؤال ، فقد اندفع
يروي لرئيس الأمن العام كل ما لديه ، وما أخبره به
(أدهم) ، عن السنّيورا ، ومنظمتها الإجرامية ، وسيطرتها
التمامة على عدد من قادة الشرطة وولاة الأمر في
(المكسيك) ..

واستغرق هذا نصف ساعة كاملة ، ثم يقاطعه الرجل
خلالها مرة واحدة ، وإن حملت ملامحه العديد من

انفعالاته ، وهو يتابع تلك الحقائق المفزعة ، قبل أن يقول في توتر :
- هذا الأمر خطير يا رجل .. خطير للغاية .. لديك

دلائل تؤيد أقوالك ؟! .. أعني أوراق أو مستندات ، أو ..
قاطعته (بابلو) ، قتلًا :

- لو انتظرنا حتى نجمع الوثائق المطلوبة ، لأفليت الأمر من أيدينا يا سيادة الرئيس ، فالموقف يزداد تأزمًا وتعقيدًا ، ولدى من الأسباب ما يجعلني واثقًا من أن الأمور ستشتعل وتبلغ ذروتها ، في هذه الليلة بالذات .

سأله الرجل في دهشة متوترة :

- ولماذا ؟!

أجابته (بابلو) :

- لأن الأمور ستفقد من قبضة السنيورا البعض الوقت ، فاما ان يستقر هذا ، ويضرب ضربتنا ، وإلا فستستعيد توازنها ، وتصبح أكثر قوة وبأسًا وشراسة ، وربما صار القضاء عليها خنثى مستحيلًا .

تراجع رئيس الأمن في مقعده ، وقد ازداد اتعقلا حاجبيه ، وقال :

- ولكن إجراء مخيف كهذا يستلزم وجود دلائل قوية أيها المعتش ، ولا يمكنني المخاطرة بالقيم بأية خطوة ،

دون أن أتق مائة في المائة ، من أنني أسير في الطريق الصحيح .

بدأ للتوتر على وجه (بابلو) وصوته ، وهو يقول :
- وما الدليل الذي يمكنني أن أمنحك إياه ، في مثل هذه الظروف يا سيدي ؟

هز الرجل كتفيه ، قتلًا :

- أي دليل ؟

ثم مال نحوه مستطرده في هزم :

- امنحني حتى نقطة واحدة تؤيد أقوالك ، وسأطلق صفارة الإنذار الكبرى ، ولن تجد تلك السنيورا شبرا واحدا ، في (المكسيك) كلها ، يمكن أن تختفي فيه منا .

وسرت موجة عنيفة من التوتر في أعماق (بابلو)
لقد قطع كل تلك الأميال ، ليصل إلى رئيس الأمن العام ، دون أن يحمل معه دليلا واحدا يدعم أقواله ..
والان صار قاب قوسين أو أدنى من الحولة الأخيرة ، ولا يفصله عنها سوى دليل ..

دليل واحد ..

ولكن كيف يحصل على مثل هذا الدليل ؟!

كيف ؟!

كيف ؟

كيف ؟



على الرغم من بقاء الموقف وصعوبته ، على قمة
الجبل ، لم ترتجف شعرة واحدة في جسد (أدهم) ،
وهو يواجه قوّهات المدافع الآتية المصوّبة إليه ، وإنما
هتف متصنّعا الدهشة والفرح :

- ماذا حدث ؟ هل أصبح تسلّق الجبال ليلاً

محظوراً ؟

أشار إليه الرجل الأول في صرامة ، قتلًا :

- لا تحاول خداع يا هذا ، أكمل صعودك إلى هنا .

نريد أن نرى وجهك وبديك في وضوح

صعد (أدهم) إلى القمة في بساطة ، وهو يواصل

أداءه التمثيلي ، قائلًا :

- أنا مجرد متسلّق هو ، أخبروني أن هذه القمة

تمثل تحديًا ، فأتيت إلى هنا ، و ...

قاطعه أحد الرجال الأربعة في غنظة :

- اصمت .

ثم أشعل أدهم مصباح يدويًا ، وصوبه إلى وجهه .

وهو يقول في خشونة :

- لا أحد يتسلّق الجبال ، دون الحصول على تصريح
خاص ، ولو أنك طلبت تصريحًا بالتسلّق هنا ، لما
حصلت عليه أبدًا ، حتى ولو ..

وقبل أن يتم حديثه أطلق أحد زملائه شهقة قوية ،
وحدث في وجه (أدهم) ، هاتفاً :

- يا للشيطان !.. إنه ذلك المصري .

وعند هذه النقطة ، لم يعد من الممكن أبدًا أن يواصل
(أدهم) تمثيل دوره ..

فمن الواضح أن معظم رجال السنيورا يعرفون
ملاحه ..

وهذا يعني أنه من المحتم أن يتحرك على الفور ..

وهذا ما فعله ..

ففي سرعة مذهلة ، وفور أن نطق الرجل بعبارة ،

مال (أدهم) جانبًا ، وانتقط ماسورة مدفع أحد الرجال ،

وجذبه معه في قوة وسرعة ، ليضرب به أحد زملائه

في عنف شديد ، سقط معه الرجلان أرضًا .

وفي الثانية التالية مباشرة ، كان ينقض على

الرجلين الآخرين ..

وفي قتاله هذا ، كانت هناك قاعدة واحدة ، لا يمكن

التقلّل عنها قط ..

قاعدة تحتم ألا تتطلق رصاصة واحدة ..

أو يحدث ما ينبه السنيورا ، أو رجالها في القصر ،
إلى وجود قتال على القمة ..

لذا فقد تحرك (أدهم) ، على الرغم من إصابته ،
بسرعة مذهلة ، لم يعدها هو نفسه في نفسه ..

وبوثبة مذهشة ، ومستخدماً قدميه في آن واحد ،
ركل المدفعين الالبيين من قبضتي الرجلين الآخرين ، ثم
هبط ليلكم أحدهما في أنفه ، ويدور على عقبه ليطلق
قبلة في تلك الثاني ..

وفي نفس اللحظة ، التي سقط فيها الرجلان ، هب
زميلاهما من سقطتهما ، ووثب أحدهما محاولاً التقاط
مدفعه الآلى . في حين قفز الثاني بطوقى (أدهم)
بذراعيه ، هاتفا بزميله :

.. اطلق الإنذار يا رجل . أخبر السنيورا أن المصري
هنا .

ولكن (أدهم) دفع مرفقه إلى الخلف بكل قوته ،
ليغوص في معدة الرجل ، الذي بطورٍ وسطه ، ثم أدار
يده خلف كتفه ، ليقبض على عاتقه . وبترعه من مكانه
بكل قوته ، ويلقيه نحو رميته . قبل أن يبلغ مدفعه ..

وعندما سقط الرجلان أرضاً ، قفز (أدهم) يركل
المدفع الآلى بعيداً ، ثم انقضَّ عليهما كالنيث ..
وبلكمة عنيفة ، أطاح بأحدهما بعيداً ، في حين انطلق
الثاني يحدو ، وهو يهتف :

.. النجدة .. النجدة يا رفاق .. المصري هنا .
انطلق (أدهم) خلفه كالصاروخ ، ووثب ووثبة هائلة ،
ليهبط على الرجل كالصاعقة ، وهو يقول :

.. اخفض صوتك أيها الوغد ، وإلا قطعت لسانك .
سقطا معاً فوق الصخور ، وراحا يتدحرجان مع
قتالهما ، والرجل يجاهد للتخلص من (أدهم) ، وهو
يهتف مذعوراً :

.. اتركنى .. اتركى يا رجل . لن أصرخ . أقسم
لك .

ودفع (أدهم) بقدميه بكل قوته ، وهب واقف ، ولكن
(أدهم) ووثب بدوره ، وكال له لكمة قوية ، قنلاً :
.. هناك وسيلة واحدة للتأكد من هذا .

أصابته اللكمة الرجل في فكه مباشرة ، فتراجع نحو
الحافة ، ثم فقد توازنه عندها ، فالتسعت عيناه في رعب
هائل ، واحتبست في حلقه صرخة مختنقة ، وهو
يضرب الهواء بذراعيه ، محاولاً التثبيت بأي شيء ،
قبل أن يهوى من حلق ، و...

وفجأة امتدت يد (أدهم) لتقبض على معصم الرجل ،
وهو يقول ساخرًا :

- إياك أن تسمى فهمي يا رجل .

ثم جذبته ليعيده إلى الحافة في عنف ، مستطردًا :

- فأنا لا أنقذ حياتك من باب الشفقة .

واستقبله بنكمة ساحقة في فكه ، مضيفًا :

- وإنما أمنعك من السقوط نحو القصر فحسب .

هوى الرجل عند قدمي (أدهم) فاقد الوعي ، وهذا

الآخر يردف :

- فهذا كفيْل يتذلل الآخرين .

وألقي نظرة أخرى على ساعته ، قبل أن يحذب

الرجل إلى حيث سقط رفاقه ، وراح يقيدهم جميعًا في

احكام ، ويكمم أفواههم حينًا ، قبل أن ينتفتل إلى المدفع

المضاد للطائرات ، مغمضًا :

- اعرف أن وجودك تم بعد له ما يبرره يا هذا

وأخرج من حقيبتة قبلة زمنية ، ضبط ساعة توقيتها

جيدًا ، ثم ثبتها عند قاعدة المدفع ، واتجه إلى الحافة ،

وانحنى عندها يتطعم إلى المكان في اهتمام شديد .

ومن النظرة الأولى ، أدرك أنه كان مخطئًا ، عندما

تصور أنه لو ترك الرجل يسقط ، فسيهوى في ساحة

القصر ، وينذر الآخرين ..

فتحافة كانت تتجاوز ساحة القصر بكثير ..

كانت تمتد ، مع ذلك النوء الكبير ، لتتجاوز القصر

وساحته ، حتى حافة السور الضخم المحيط به . وعند

أطراف أبراج المراقبة بالتحديد ..

ونهذا لم يكن من الممكن أبدًا رؤية القصر من

الجو ..

فذلك النوء الطبيعي يحجبه تمامًا بالفعل

ويمثل حماية مذهشة ، في الوقت ذاته .

وعقبه ضخمة في خطء (أدهم) .

فحتى ينفذ ما اعتزم عليه ، ويهبط من الحافة إلى

القصر ، سيكون عليه أن يتعلق ببطن النوء ، لمسافة

تتجاوز العشرين مترًا ، في وضع من أكثر الأوضاع

صعوبة وخطورة . حتى بالنسبة لمحترف في تسلق التحال

ونيس هذا فحسب . واتم ينحس أن يقطع هذه

المسافة فوق رعوس رجال الأمن والحراسة ، وعلى

مسافة عشرة أمتار فحسب من قمم أبراج المراقبة

وهذا - في حد ذاته - خطر رهيب ..

يكفى أن يرفع فرد واحد من طاقم الأمن رأسه إلى

أعلى ، أو يستدير شخص واحد من أبراج المراقبة إلى

الداخل ، حتى ينتبه إليه ، ويكشف وجوده ومحاولته ..

وتفضل المهمة كلها ..

كان يدرك هذا الخطر جيداً ، إلا أن شيئاً في الدنيا
كنها لم يكن يكفيه ليحجم عن محاولة الوصول إلى
القصر ..

لا شيء في الكون كله ، يمكن أن يثنيه عن القتال ،
في سبيل انقاذ واستعادة (منى) ..
لا شيء ..

وفي حزم ، راح يثبت حنقة معدنية كبيرة عند
الحافة ، ثم عقد فيها طرف الحبل في قوة ، وراح يتدلى
هابطاً إلى أسفل ، ومتعلقاً بالحبل .

وبالنسبة لأمتار الأربعة الرأسية ، لم تكن هناك
مشكلة ، حتى بلغ الحزم الأفقى . الذى يمتد لعشرين
متراً ، حتى يلتقى مرة أخرى بحسم الحبل ، فوق الحزم
الحنفى من القصر ، حيث حوض السباحة وصالة
الأنعام الرياضية ..

وكان التعلق بهذا الجزء يحتاج إلى أسلوب خاص
وأدوات غير تقليدية ، تجعل المرء أشبه بمن يزحف
على السقف ..

وفي حرص شديد ، ثبت (أدهم) حنقة أخرى عند
الحافة السفلية للتواء ، ثم مال بجسده إلى الداخل .

وهو يثبت الحبل في حزامه ، ليضع حنقة جديدة في
السقف السفلى للتواء

وفي ببطء وحرص ، وخطوة فخطوة ، راح (أدهم)
يتقدم نحو الداخل ، وهو معلق في التواء ، وظهره إلى
أسفل ، وعيناه تختلسان النظر ، بين حين وآخر إلى
برج المراقبة الأيسر ، الذى يطلّ عليه مباشرة .

وفي ذلك البرح بالتحديد ، تشاءب الحارس ، وضغط
زر جهاز الاتصال اللاسلكى . وهو يقول فى ضجر :
- هنا (رامو) من البرج الثالث ، الساعة الآن
الثانية والنصف ، وكل شيء على ما يرام . هل من
أوامر جديدة ؟!

أتاه صوت رئيس فريق الأمن ، وهو يقول :
- لا أوامر جديدة ، واصل المراقبة ، وأبلغ فوراً عن
أى شيء يثير انتباهك أو شكوكك .

غمغم الرجل فى آلية :
- كما تأمر يا سيدي .
وانتهى الاتصال ، وهو يتنهد مغمغماً فى ملل :

- ماذا أصابهم الليلة ؟ .. ألا يكفينا احتمال هذه الوظيفة
السخيفة ، حتى يحلو لهم إعلان حالة الطوارئ القصوى ،
كلما عانت سنيورتنا الفتاة من الأرق ؟

وهز كتفيه ، وهو يتشعب ثانية ، ويرتكز إلى جانب
البرج ، و

وفجأة ، وقع بصره على (أدهم) ، فاعتدل في
حركة حادة ، وحدث فيه في ذهول ، ثم اختطف مدفعه
هاتفاً :

- يا للشيطان !..

وانطلقت رصاصة في قصر السنيورا .

قبل مطلع الفجر .



٩ - الدقائق الأخيرة ..

تهدت (جيهان) في توتر شديد ، وهي تلقى نظرة
على ساعتها ، وعادت تضع المظفر المقرب ، المجهز
للروية النيلية على عينيها ، وتراقب القصر من بعيد ،
متممة :

- ألا يمضي الوقت قط ، عندما نتعجل الأمور ؟!

كانت المسافة بينها وبين القصر لا تتيح لها رؤية
التفاصيل الدقيقة ، بواسطة ذلك المنظار الخاص ، إلا
أنها لم تتوقف لحظة عن المراقبة ، خشية أن تتطور
الأمور دون أن تدري ..

ومرة أخرى تهت في حرارة ، وابتت على المدفع
الذي انتهت من تركيبه ، والذي أصبح معداً للاطلاق ،
وتمتت :

- أعلم أن الموعد الذي حددته (أدهم) لم يحن بعد ،
ولكنني لم أعد أحتمل .

كان توترها مضاعف هذه المرة لسبب ما ، لم يدركه
عقلها الواعي أو يتوصل إليه قط ، وإن أنباتها به

غريزتها الأنثوية ، وراحت تلتهب به بشدة ، حتى أنها راحت تسأل نفسها عما يمكن أن يعنيه هذا ..
لماذا ينتابها كل هذا القلق هذه المرة ؟
لماذا ارتجفت بشدة ، وهي تودّع (أدهم) ؟
أى خطر هذا ، الذى يبحث بأوتار مشاعرها على هذا النحو ؟

أى خطر ؟

بذلت جهداً خارقاً للسيطرة على مشاعرها ، وعلى قلقها العارم هذا ، إلا أن قلبها لم يتوقف عن الخفقان فى صف ، وهي تتمتم :
- ماذا سيحدث الليلة ؟ ماذا ؟

ثم عالت تضع للمنظار على عينيها ، وتراقب القصر ، محاولة مقلومة قلقها ، و ...
وفجأة ، لمحت ذك الوميض ..

لم تسمع أى صوت ، ولكن الوميض الخافت الذى لمحت ، ناحية الهرج الشمالى ، لم يكن غامضاً ، بالنسبة لمحترفة مثلها ..

إنه وميض سلاح ناري ينطلق ..

وفى مثل هذه الظروف ، لم يكن هناك سوى تبرير واحد لانطلاق سلاح ناري ..

تبرير قبح فى أعماقها المزيد والمزيد من القلق والخوف ..

وبقوة أكبر ، عاد قلبها يخفق ..

ويرتجف ..

ويرتجف ..

ويرتجف ..

★ ★ ★

انتبه (أدهم) إلى موقفه العصيب ، فى نفس اللحظة التى رفع فيها حارس الهرج فوهة مدفعه الآلى ، ليوطلق عليه النار ..

وعندما انتبه إلى هذا ، كان مثبت حلقة جديدة فى سقف النتوء ..

وكانت أمامه ثاية واحدة أو أقل . ليدافع عن نفسه ، أو يمنع الحارس من إطلاق رصاصته ، حتى لا يشتعل للموقف قبل الأول ..

وبسرعة مذهلة تخطى (أدهم) عن الحلقة ، واتمّرع ممدسه المزود بكاتم للصوت من حزامه ، وأطلقه على رأس الحارس مباشرة ..

وأصاب الرصاصة هدفها بدقة مذهلة كالمتعاد ، على الرغم من الوضع شديد الصعوبة ، الذى يتخذه جسده ..

واختزلت الرصاصات جبهة الحارس في صمت .
فجذبت عيناه ، وترنح جسده لحظة ، ثم هوى جثة
هامة داخل الهرج ..

ومع رد فعل انشلال الرصاصات ، ارتجج جسد (أدهم)
في عصف . وخرجت اللسان من حنقات الحمل من
موضعيهما . فهوى جسده في الفراغ . وتثبت بالحبل
في قوة ، حتى صمدت الحلقة الثالثة . فتأرجح جسده
في عصف . ووجد نفسه معقفا على ارتفاع عشرين مترا .
من نهاية ساحة القصر ، بتقرب من البرج الشمالي .

وحبس (أدهم) أنفاسه في قوة ، وترك جسده
يتأرجح في بقاء ، وهو يتطلع إلى ما تحته في قلق .
خشية أن يكون أحد الحراس قد لمح وميض طنقة
الرصاص الصمته . أو اتبه إلى ما أصاب حارس
الهرج ..

ومن تحته . رأى رجال طاقم الحراسة في مواقعهم .
وبعضهم يتحرك عبر الساحة . ويتفقد عددا من المواقع
في نشاط جم ..

وكان يكفي أن يرفع أحدهم رأسه لحظة واحدة . ليقع
بصره عليه مباشرة ..

ولكن من حسن حظه أن هذا لم يحدث ..

والدقيقة ونصف الدقيقة تقريبا . تجمد (أدهم) في
مكانه . يراقب تحركات رجال الحراسة . حتى تأكد من
أن أحدا لم ينتبه إليه . ثم بدأ يتسلق الحبل مرة أخرى .
و ...

وفجأة . انزع الثقل حلقة أخرى من موضعها .
فهوى جسده ثانية في عصف . حتى تعلق بالحلقة
الأخيرة ..

وأدرك (أدهم) أن حنقات التثبيت لم تحتل هذا
الضغط المباغت ..

ولأن الحلقة الأخيرة لم تثبت أن تفصل عن موضعها ..
ودون أن يضيع لحظة واحدة . راح (أدهم) يتأرجح
بالحبل . وهو يراقب ساحة القصر في حذر . محاولا
بنوع برج الحراسة . الذي قل حرسه منذ دُفق

وانفصلت الحلقة الأخيرة من موضعها في بقاء .
وهو يتأرجح بزاوية أكبر وأكبر
ثم انفصلت الحلقة بقة ..

وفي نفس اللحظة التي انفصلت فيها . كان (أدهم)
يثب نحو الهرج ..

ولشوان ، بدا الأمر وكأن (أدهم) لن يبلغ حافة
البرج قط ، إلا أن أصابعه لم تلبث أن تشبّت بها في
اللحظة الأخيرة ..

ولكن الحبل واصل سقوطه ..

ومع الحلقة المعدنية الكبيرة في طرفه ، أدرك (أدهم)
أن ارتطامه بالأرض سيحدث دويًا عظيمًا ، يكفي لإطلاق أكبر
صفرة إنذار في القصر كله ، وإيقاظ الموتى في قبورهم .
وبحركة سريعة ، وعلى نحو غريزي ، أفلت (أدهم)
إحدى قبضتيه عن حافة البرج ، والنقطة بها طرف
الحبل ، وأداره في مهارة ، ليبعد الحلقة المعدنية عن
جدار البرج ، ويمنعها من السقوط في ساحة القصر ..
كان هذا الوضع الجديد محيرًا للغاية ، وبخلاف خطته
تمامًا . إلا أنه لم يتوقف لحظة واحدة ليفكر في هذا ،
ولما عاد يتشبّت بالحافة بيديه ، وهو يحذب الحبل
إليه . ثم استغفر كل ما تبقى من قوته ، ودفع جسده
ليشب داخل البرج ..

وفي هذه المرة كان يلهث بشدة حقًا ..

لقد بذل مجهودًا خرافيًا في دقائق معدودة ، وبلغ به
الانفعال مبلغه ، وهو يمرّ بالخطر في كل ثانية ، قبل أن
يبلغ هدفه الرئيسي ..



وفي نفس اللحظة لن انصبت فيها ، كان (أدهم) يذب نحو لرح

والى حوار جثة احارس ، استلقى يلتقط أنفاسه ،
ويراجع خطته كلها فى ذهنه مرة أخرى ، ثم لم يلبث أن
مد يده يغلّق عينى الحارس الصريع ، وهو يتشهد متمنماً :
- لست اميل إلى القتل فى المعتاد يا رجل ، ولكن من
سوء حظك أن الموقف لم يكن يحتمل أية حلول أخرى .
وظلّ قريباً فى موضعه لحظات أخرى ، ثم نهض
يتطلع عبر البرج إلى الساحة ، ليدرس مداخل ومخارج
المكان ، ويحصى أعداد رجال الحراسة ، و ...
وفجأة ، فتح أحدهم باب حجرة المراقبة ، وهو يقول :
- أراهن على أن الممل كذا يقتلك يا رجل ، ولكن
اطمنن ، فنوبتى تـ ..

التفت إليه (أدهم) فى سرعة مذهشة . فترجع
الرجل فى حركة حادة . وهو يهتف ذاهلاً مذعوراً :
- يا للشيطان !.. من أنت يا رجل ؟!
أجابه (أدهم) بكلمة كالقنبلة ، قائلاً :
- لنا سوء حظك أيها اللوغد ..

دفعت النكمة الرجل إلى الخنف فى عنف ، وكانت
تسقطه فوق سلم المبرج . ولكن (أدهم) قبض على
سنرتة فى سرعة . وحذبه إليه ، ثم هوى على معدته

بكلمة ثانية ، قبل أن يلوى ذراعه خلف ظهره ، ويحيط
عنقه بمساعدته ، وهو يسأله فى صرامة :
- أين الفتاة ؟!.. أين تحتفظون بها ؟
لخنتى صوت الرجل ، وهو يقول فى ألم :
- لية فتاة ؟

قال (أدهم) ، وهو يلوى ذراعه أكثر فى قسوة :
- الفتاة المريضة ، التى اختطفتموها من (نيويورك) .
شهق للرجل فى ألم ، وهو يهتف :
- إنها هناك .. فى القبو . النعنة !بك تكاد تكسر
ذراعى .

لكمه (أدهم) فى ظهره ، قائلاً فى صرامة :
- وكيف يمكن الوصول إلى ذلك القبو ؟
تلوه الرجل ألماً ، وهتف :
- إنه هناك فى الحائط الحوى لنقصر ستجد
بنا رئيساً أمام برج المراقبة ، وسيقودك هذا الباب إلى
حجرة التحكم الصوتى للهاتف ، وبعد ستجد القبو
مباشرة .

جذبت كلماته انتباه (أدهم) ، فسأله :
- وما حجرة التحكم الصوتى للهاتف هذه ؟!
ما فائدتها ؟

نأوه الرجل مرة أخرى في ألم . قبل أن يقول :
- إنها تحوى أجهزة الكمبيوتر الخاصة ، التى تستخدمها
السنيور ، عندما تتحدث هاتفياً ..

توتر (أدهم) أكثر ، وهو يسأله :

- ولماذا تستخدمها السنيور ؟!

هو الجواب عليه كالصاعقة . والرجل يقول فى
ألم :

- لتعير صوتها . إنها لا تحب أن يتعرف أحد على
صوتها عبر الهاتف . لا تحب هذا أبداً ..

وانتفض جسد (أدهم) فى عنف ، عندما سمع هذا
للجواب ..

وقفز الى ذهنه اسم واحد ، تضخم بسرعة ، ليملا
عقله كله . ويشتعل فى اعماقه . نيلتهب به كبتة عن
احد . وتصرخ به كل حبة من خلاياه

اسم الأفعى الحقيقية ..

(سونيا) ..

(سونيا جراهام) ..

★ ★ ★

لثوان ، امتلا جسده كله بموجة هائلة من الغضب
والانفعال ، وانفصت عروقه فى توتر . ثم لم يلبث

أن سأل الرجل بصوت مخيف ، حمل كل ما تموج به
نفسه :

- أين توجد السنيور الآن ؟

هز الرجل رأسه نفياً فى عصبية . وهو يحيب :

- لست أدرى . لا أحد يدرى . إنها تتقل بين ست
حجرات نوم وحجرتى مكتب . لا أحد يمكنه تحديد

موقعها قط إلا فيما ندر ، أو حينما تستدعيه هى إليها

تمتم (أدهم) فى غضب :

- لن يفيدنا الحذر الزائد هذه المرة .

ثم أدار ذراع الرجل بحركة خاصة . ليجبره على
مواجهته ، وهو يستطرد فى صرامة :

- فليكن أيها الوغد .. هذا يكفينى .

ثم هوى على فكه بنكمة شديدة القوة . ارمى لها
جسد اترجل فى عنف . قبل أن يسقط فقد الرعى

وللحظات . وقف (أدهم) يتطلع إلى الرجل معقود
الحاجبين فى غضب . وعقله يكاد يشتعل من تلك

المدجاة الأخيرة . ثم رفع رأسه . وقال فى صرامة
غاضبة :

- لو أنك (سونيا) بالفعل أيها السنيور ، فسيكون
حسابى معك عسيراً .. عسيراً للغاية .

وانحنى ينزع عن الرجل زى الحراسة المميز ،
ويستبدله بشيبه ، ثم قيده وكنم فيه بإحكام ، وألقى
نظرة على ساعته ، وراح يهبط فى درجات سلم البرج
فى حزم ، حتى بلغ قاعدته . وهناك توقف عند باب
لحظات ، يختلس النظر إلى ساحة القصر ، قبل أن
يتمتم :

- واحد . اثنين . ثلاثة رجال .. وربما هناك مثلهم
عند الزاوية .

فحص الساحة بهصره مرة ثانية ، ثم قبض على
المدفع الألى ، الذى حصل عليه من حارس البرج ،
ودفع الباب وخرج إلى الساحة ..

كان يتحرك وسط حيش من ألد أعدائه ، عبر الساحة
الكبيرة التى جمعت ثمانية من رجال أمن السنيورا .
بحلاف خمسة حرس . يظنون من نوافذ القصر .
وحراس الابراج . وعلى الرغم من هذا ، فقد بدا هادئا
متعاسك . وهو يعبر الساحة . فى طريقه إلى الركن
الجنوبى للقصر . حيث باب القبو ، الذى يقود إلى
المكان الذى ترقد فيه (منى) ..

وفى نفس اللحظة . كانت السنيورا تشعل سيجارة
أخرى فى حارثتها التى انعقدت فى سماتها سحب الدخان .

وتتطنع عبر النافذة . إلى السحب الداكنة فى السماء ،
التي تحجب ضوء القمر ، والتوتر يغمز كياتها كله ،
فتتابع مساعدتها فى إرهاق ، وقالت :

- ثلاث ساعات وتنتهى المهلة يا سنيورا .. هل
تعتقدين أن (أدهم صبرى) سيخضع للإبذار ؟

نفثت السنيورا دخان سيجارتها فى توتر ، قذلة :
- لن يفعل هذا بسهولة . فهو لم يعتد الهزيمة أو
الاستسلام . وسينتظر حتى اللحظة الأخيرة ، ثم يحاول
المناوره ويلجأ إلى الخداع .

واتعقد حاجباها فى شدة . وهى تستطرد :
- ولكننى لن أمنحه الفرصة لهذا .

سألتها مساعدتها فى لهفة :
- وكيف ؟!

حصلت السنيورا عبيها إلى الساحة . وهى تحجب .
- سأخبره أننى سأقتل زميلته ، لو أبدى أية مقاومة ،
لو أى ..

بترت عبارتها على نحو مباغت ، واتعقد حاجباها فى
شدة . واحتس دخان السيجارة فى حلقها ، حتى أنها
سعلت فى قوة . واحتقن وجهها كثيرا . فهتت مساعدتها
من مقعدها ، هتفة :

- ماذا حدث يا سنيورا ؟!.. هل أستاذي الطبيب ؟
أشارت إليها السنيورا بيدها نفيًا في عصبية قبل أن
تقول بصوت مختق ، يفيض بالانفعال :
- من هذا الرجل ؟

سألته مساعدتها في حيرة :
- أي رجل ؟!

أشارت السنيورا بأصابع مرتجفة إلى رجل يرتدي
زى طاقم الحراسة ، ويعبر الساحة في خطوات واثقة ،
متجهًا إلى الجنوب ، وقالت في عصبية :
- ذلك الطويل الممشوق هناك .. إنه ليس أحد رجالنا
حتمًا .. إنه يبدو لي من هنا أشبه بـ ... بـ ...
لم تقو على إكمال عبارتها ، وهي تحدق في الرجل
بعينين ملوهما الذعر ، فتطنعت إليها مساعدتها بدورها ،
وغضبت :

- لست أدري .. إنه لا يبدو واضحًا من هنا ، ولكن ..
لم تعطها السنيورا الفرصة لتكمل ، وإنما اختطفت
سماعة الهاتف الداخلي ، وضغطت زرّها ، وقالت في
توتر شديد :

- أين أنت يا رئيس الأمن ؟! . أين ؟!
أناها صوته ، قتلًا :

- أنا هنا في الساحة يا سنيورا .. كل شيء على
مايرام ، و ...

قاطعته في عصبية شديدة ، وعيناها تتابعان الرجل ،
الذي يواصل سيره نحو الجنوب :
- من ذلك الرجل ، الذي يعبر الساحة ؟!.. إنني لم
أره من قبل قط .. تحرّ الأمر ، وارفح حالة الطوارئ
فورًا .

بنت الدهشة في صوت رئيس الأمن ، وهو يقول :
- لا بأس يا سنيورا .. لا بأس .. سأفعل كل ما يريهك .
صرخت في غضب :
- بل افعل ما ينبغي أن تفعله أيها اللوط .
التقى حاجبا الرجل في تبرّم ، من الأسلوب الجاف
اللفظ ، الذي تتعامل به معه ، ولكنه غمغم . وهو يتجه
نحو الرجل :

- بالطبع يا سنيورا .. بالطبع .

ثم صاح :

- أنت هناك .. من أنت ؟!.. وإلى أين تتجه ؟!
سمع (أدهم) الصيحة ، ولكنه تجاهلها تمامًا ، وكأني
ليست موجهة إليه ، وواصل سيره بنفس السرعة
والثقة ، فاتخذ حاجبا السنيورا أكثر ، وقبضت على

معصم مساعدها في قوة أمت هذه الأخيرة . وهي تتابع الموقف . في حين هتف رئيس الأمن في حدة :

- قف يا رجل .. إتنى تحدث إليك .

واصل (أدهم) تجاهله . وزاد من سرعة سيره . على نحو استفز رئيس الأمن . فرفع فوهة مدفعه . صانحا .

- قف وإلا أطلقت عليك النار ..

وهنا أدرك (أدهم) أنه لم يعد هناك مفر من المواجهة

وان لحظة القتال الحقيقية قد حانت ..

وبلا تردد . ودون أن يضيع جزءا من الثانية . استدار (أدهم) يواجه رئيس الأمن . الذي اتسعت عيناه في ارتياح . وصرخ :

- يا لضبطن ! انه انت

ولم نكد عمارته تكمل . حتى ضغط زناد مدفعه الألى

وفي نفس اللحظة تقريبا .

وبفارق نصف ثانية بالتحديد . اطلق (أدهم) رصاصاته

وصرخت السننورا مع دوى الرصاصات .

- قفه هو .. قفه هو ..

ومع صرختها تفجرت الدماء من جسد رئيس الأمن . واقتنعت رصاصات (أدهم) من مكانه . ودفعته أمامها لثلاثة أمتار كمئة . قبل أن يسقط جثة هامدة . أمام أعين رجاله جميعا ..

وهنا اشتعل الموقف عن آخره .

وفتحت أبواب الجحيم ..

★ ★ ★

بدا عقرب الدقائق في عيني (جيهان) . وكأنما حمل أنفال الدنيا كلها على كاهله . وراح يزحف في بطن مخيف . وبلغ التوتر في أعماقها نروته . وهي تراقب القصر . مضغمة :

- هيا يا (أدهم) . اثبت لى أنك ما زلت بخير .

وبدأ القتال .

لم يكن الوقت الذي حدده مسبقا . طبق للخطوة . قد حان بعد . إلا أن كل خنية من خلاياها التهبته بالفعل . من طول الترقب والانتظار . وراحت تتمنى لو بدأ القتال الآن طبقا للقاعدة التي تقول : وقوع البلاء أفضل من انتظاره ..

وطوال الوقت . لم تستطع أبداً انتزاع ذلك القلق ،
الذى يكاد يعصف بنفسها ..

ولا أن تحمد خوفها المبالغ على (أدهم) .
أو تفهم سر تلك الانفعالات المتصاعدة هذه المرة !! .
صحيح أن (أدهم) وحده هناك . في قلب قبة
السيور ، ووسط حيشها ، لأمس كنه
ولكن هذه لم تكن المرة الأولى ، التي يفعل فيها
هذا ..

لقد واجه من قبل مواقف مماثلة ، وخرج منها سالماً
بفضل الله سبحانه وتعالى ، ومستعيب ببراعته وجراته ،
وشجاعته الخرافية ..

وهي تلقى تمام قدراته المتفردة هذه
وفي قدرته على مواجهة صعب الموقف
ويكسب لا تستطع مع حسد من الارتخاف خوفاً
وشحاذة ، فها هو الذي دشها فكرة عجيبة .

أمن الممكن أن تعود انفعالاتها الرائدة هذه ، إلى
خوفها مما يحدث . عدم يبحر في استعادة
(منى) ؟ ..

أنها لا تنكر أن (منى) زميلتها أيتها . وواحدة من
أفضل صديقاتها فيما مضى ..

ولكنها الآن أصبحت غريمتها ..

غريمتها الوحيدة في حب (أدهم) ..

وعندما ينحج في استعدتها ، فإنه سيوب في حبها
ثانية ، وسينسى أمرها هي تماماً ..
وهذا يؤلمها بالتأكيد ..

ويثير غيبتها وحزنها ..

ولكن ، أمن الممكن أن يبعث في أعماق كل هذا
الخوف ؟ !

حدثت في البداية أفدع نفسها بل هذا هو السبب
الحقيقي . ألا أن عزيزتها كانت رقصت هذا التبرير ،
وأصرت على أنه هناك سبب آخر لخوفها المبهم
سبب يتعلق به هو ..

بـ (أدهم) ..

وخفق قلبها في عصف عذبة يوصف في هذه الحقيقة
المخيفة ، ووجدت نفسها تهتف :
- ساعده يا إلهي ! .. ساعده .

ونم بكدها يهتلق ، حتى دوت الرصاصات في
القصر ..

وانتفض حسده كنه في عصف . وهي تصرخ

- يا إلهي ! .. (أدهم) .

ودون تفكير ، وقبل حتى أن يحين الموعد المنشود .
قفزت (جيهان) إلى المدفع . صائحة :
- لا .. ليس (أدهم) .. ليس هو .
وأطلقت قذائفها ..
وبدأت المعركة الحقيقية ..



لم تكد رصاصات (أدهم) تخترق جسد رئيس الأمن ،
حتى بدأ القتال على الفور ، واستدارت كل فوهات
المدافع نحوه ، والسنابور تصرخ في حجرتها ، دون أن
يصل صوتها إلى رجالها :
- القلوه .. إنه هو .. القلوه ..

أما (أدهم) ، فقد سيطرت على تفكيره نقطة واحدة
أن يصل إلى (منى) ..
وبأى ثمن ..

ومن هذا المنطلق ، أطلق رصاصات مدفعه الانى فى
كل اتجاه ، وهو يعدو بكل قوته نحو باب القبو .
وكان المشهد أشبه بنقطة شديدة العنف ، فى فيلم
كبير من أفلام الحركة ..

واستعاد ذهن (أدهم) تكريات بعيدة

تكريات أيام عمله فى القوات الخاصة بالجيش (*) ..
وتكرى حرب أكتوبر ..
واخترقت رصاصة لخذة الأيمن ، وشعر بثقبة نفوس
فى ظهره ، وثلاث أخريات يضربن ذراعيه وكتفه .
وتفجرت منه الدماء فى غزارة ..
ولكن العجيب أنه لم يتوقف ..
ولم يبطئ حتى من سرعته ..
وقد يتصور البعض أننا نبالغ ، عندما نقول : إنه حتى
لم يشعر بكل تلك الإصابات ..
لقد تحول إلى آلة قتالية ، لا هدف لها إلا الوصول
إلى (منى) ..

والذود عنها بكل قوته ..
وبحياته نفسها ، لو اقتضى الأمر ..
تد انطلقت قذائف مدفع (جيهان) ..
وكانت مفاجأة لرجال السنيورا ..
لقد تجاوزت القذائف الأسوار العالية ، وانفجرت فى
ساحة القصر وجدراته ..
ولم يعد الرجال يدرون أى عدو يواجهون ..

ولكن السنيورا صرخت ، عبر أجهزة النداء الداخلية :
- لا تشبكوها مع الآخرين . اقتنوه هو . اقتنوا ذلك
الرجل . لا تسمحوا له بالخروج من هنا حياً . لا تضيعوا
الفرصة .

ومع هذا التوجيه المباشر ، اتجه رجالها بأسلحتهم
كلها نحو هدف واحد .
نحو (أدهم) ..

وبقفزة أخيرة ، بلغ رجل المستحيل باب القبو .
ودفعه بقدمه . و
ولم يستجب الباب .

وفي هذه اللحظة ، أدرك (أدهم صبرى) أن طريق
النجاة الوحيد معلق فى وجهه ، فاستدار ليواجه
خصومه بمدفع الى ، شارفت خزائنه التفاد ..
مدفع اس واحد ، فى مواجهة اكثر من ثلاثين رجلا
بمدفعهم الانية

ولم يكن عدم التناسب هذا فى صالحه ، مهما بلغت
قدراته .

ولم يكن هناك أمل واحد فى النجاة من موقف كهذا
ولا ادنى أمل



١ - من أجل عينيها ..

من المؤكد أن النجاة من موقف كهذا مستحيلة ، باى
مقياس منطقي أو طبيعي ..

وحتى مع قدرات رجل مثل (أدهم صبرى) ..
لقد كان يواجه كتيبة كاملة من المحترفين ، يحملون
مدافع آلية قوية ، وهو لا يمتلك سوى مدفع آلى واحد ،
فقد أكثر من نصف مخزونه من الرصاصات .

ولم يكن يرتدى حتى تلك السترة الواقية من الرصاصات ..
لقد اضطر للتخلص منها ، حتى لا تزيد من وزنه ،
وتعوقه عن تسليق الحبل . والهبوط فى قصر السنيورا .
وكن مصابا بعدد كبير من الاصابات

والدماء تنزف من كل جزء من جسده تقريباً ..
وفى موقف كهذا ، لا يمكن أن تتحقق النجاة إلا
بمعجزة ..

أو بقبلة !! ..

ولقد أتت القبلة من أعلى هذه المرة ..

من فوق رعوس الجميع ..

ففى نفس اللحظة التى صوب فيها الكل فوهات
مدافعهم إلى (أدهم) ، والتى صرخت فيها السنيورا فى
انفعال :

- هيا .. اتسفوه .. اسحقوه سحقاً .

فى نفس اللحظة ، انفجرت القنبلة الزمنية ، التى
وضعها (أدهم) عند قاعدة المدفع المضاد للطائرات ..
ومع انفجارها ، اشتعلت ذخيرة المدفع ، وانفجرت
بنورها ..

وكان الانفجار هائلاً ، ارتج له المكان كله واتسعت
له عيون الجميع فى ارتياح ، فى حين طار المدفع
المحطم عالياً ، وهوى ليرتطم بالبرج الشمالى ، ويسحق
جزءاً من قمته ، قبل أن يهوى فى ساحة القصر ،
ويتحطم فوق ثلاثة من رجال السنيورا ..

وعلى الرغم من بشاعة المشهد ، إلا أنه لم يكن
سوى بداية ..

ففى اللحظة التالية مباشرة ، ارتج ذلك التتوه
الصخرى الهائل ، ثم انفصلت عنه كتلة هائلة ، لتهوى
فى مشهد لا يمكن لأبرع أدباء الرعب وصفه على نحو
سليم .

وتراجعت السنيورا شاهقة :

- يا للشيطان !

وتجمد عدد من رجالها أمام المشهد الرهيب ، فى
حين صرخ آخرون فى رعب هائل ، وجرى ثلاثة أو
أربعة محاولين الفرار ..

وسقطت الصخرة الهائلة ..

سقطت لتسحق الجانب الشمالى من الأسوار تماماً ،
وتسحق معه عدداً ضخماً من الرجال ، وترج القصر كله
فى عنف مخيف ، كما لو أنها ألف زلزال ..

وتراجعت السنيورا أكثر وأكثر ، وهى تصرخ :

- مستحيل ! .. مستحيل !

وهتفت مساعدها فى رعب :

- أى رجل هذا ؟! .. لقد هدم الجبل .

اتعقد حاحبا السنيورا فى غضب هادر ، وهى تردّد :

- (منى) .

سألته المساعدة فى ارتياح :

ماذا تقولين يا سنيورا ؟

صرخت السنيورا بكل غضب الدنيا :

- لابد أن تموت (منى) .. لن أسمح له باستعلائها
أبداً .

وضمت قبضتها أمام وجهها ، مستطرده فى ثورة :

- أبداً .

وفي نفس اللحظة التي انطلقت فيها صرختها الأخيرة ،
كانت الممرضة تهتف في رعب ، داخل القبو الذي يضم
(منى) الفاقدة الوعي :

- ماذا يحدث ؟!.. أمي حرب هائلة ، أم أنه يوم
الدينونة ؟

ضمها الطبيب إليه ، في محاولة لتهنئتها ، وهو
يهتف :

- لست أدري ، ولكنه أمر جلل بالتأكيد ، ويخيل إليّ
أن شيئاً هائلاً قد سقط

ثم دفعها أمامه في رفق ، وهو يسرع إلى حيث ترقد
(منى) ، مستطرداً :

- ولكن دعونا لانس هذه المسكينة . لقد أفسد الارتجاج
الضيق الكثير من الأمور .

كانت الممرضة زائفة البصر . ترتجف من قمة
رأسها حتى أحمص قدميها ، فعجزت تماماً عن فعل أي
شيء ، وهي تقول في تهيار :

- أم من نهاية لهذا ؟!.. أما من نهاية للعذاب ؟!
أم الطبيب فقد راح يعمل في سرعة ، ليعيد كل الأسلاك
والأابيب الدقيقة إلى مواضعها السابقة ، في جسد (منى) ،
حتى لا تنقح حنقها ، وهو يقول في اتفعال :

- يا للمسكينة !.. لقد خاضت أهوالاً ، وهي غارقة
في غيوبتها ، ولكن من يدري ، ربما كتبت لها النجاة ،
و ...

قاطعه صوت صارم قاس ، يقول :

- لا تأمل في هذا .

التفت مع الممرضة إلى مصدر الصوت ، وصرخت
الممرضة في رعب ، مع مرأى المسنن المصوب إليهما ،
في حين هتف الطبيب :

- ماذا متفعلين بهذا ؟

صاحت به في صرامة :

- ابتعد .

هتف بها :

- لا تحاولي قس تلك المسكينة أنها فاقدة الوعي .

و

صرخت وهي تطلق النار :

- قلت : ابتعد .

أصابت الرصاصة الجانب الأيمن لصدر الطبيب ،
واقترعته من موضعه ، ليرتطم ببعض أجهزة الفحص ،
ثم بالجدار ، ويسقط مع عدد من الأجهزة والمؤشرات
والخراطيم الدقيقة أرضاً ..

وبكل الرعب فى أعماقها ، راحت الممرضة تطلق
الصرخات ، وهى تتراجع لتتنصق بالجدار ، فى حين
اندفعت المرأة نحو (منى) ، وصوبت إليها المسدس ،
قاتلة فى حدة :

- صحيح أنك فاقدة الوعي ، ولكنك تستحقين هذا ..

وجذبت زنك مصدعها ..

ودوت الرصاصات فى المكان ..

★ ★ ★

انتفض جسد (جيهان) فى عصف ، مع دوى الانفجار
الهائل فى قمة الجبل ، واتسعت عيناها بشدة ، عندما
رأت تلك الصخرة الرهيبة تنفصل عن التواء ، وتسقط
فى مشهد نادر ، لتسحق الأسوار والرجال ..

وصرخت (جيهان) :

- يا إلهى !.. (أدهم) .

ثم اختلطت مدفع أنيا قصيرا ، وقنبلتين يدويتين ،
وقفزت من فوق النبة الصخرية ، وراحت تعدو بكل
سرعتها نحو القصر ..

ولم تدر كم استغرقت بالصبب ، حتى وصلت إليه ،
ولا كم من الصخور اعترض طريقها ، وهى تتجه إلى
هدفها ..

ولا حتى كيف تعاملت معها ..

هل دارت حولها ، أم قفزت فوقها ؟!..

أو هل اخترقتها ؟!..

إنها لا تدرى ولا تذكر ..

ولا يضرها حتى أن تفعل ..

كل ما يهمها هو أنها وصلت فى النهاية إلى القصر ،
وقفزت إلى ساحته عبر الفجوة الكبيرة فى الجدار
الشمالى ، ورأت (أدهم) يتبادل إطلاق النار ، مع
البقية الباقية من رجال السنيورا ، فصرخت وهى تطلق
نيرانها عليهم بدورها :

- ضاعت فرصتكم أيها الأوغاد .. لقد وصلت
(جيهان) .

استدار ائرحال لمواجهتها ، فقفزت تحتوى بجزء من
الصخرة المنهارة ، وهى تتبادل معهم إطلاق النار
ومع تدخلها المباغت ، اقتصر (أدهم) الفرصة ،
واستدار يواجه باب القبو ، ويطلق عليه ما تبقى من
رصاصة مدفعه الآلى ..

وتحطم الرتاج مع رصاصاته الأخيرة ، فابقى مدفعه
جانباً ، واستل مسدسه المزود بكاتم للصوت ، وأطلق
منه عدة رصاصات على رجلين حاولا مهاجمته ، ثم

فهرت داخل المكن ، وانصفي بعدو نحو القبو ، وهو
ينصرع لله ، سبحانه وتعالى ، ان يصل الى (منى) ،
قبل فوات الأوان .

وعند وثب ، حر الممر ، كان امامه مشهد رهيب ..
كنت هناك مرّة ثمرة ، صوب مسدساً كبيراً إلى
رأس (منى) ، وتهم بإطلاق النار ..
ولكنها لم تكن (سونيا جرهام) ..
وتم تكن حتى اى شخص تعرفه من قبل
ولكنه لم يفكر فى هذا ..
ولم يكن يقنيه من هى ..
لقد قفز بكل قوته ، صائحاً :
- لا .

وانطلقت من رصاصته من مسدسه انكاسه لصوت .
مع لصاحبه القوي ، فى نفس اللحظة التى سقطت فيها
الشقراء زناد مسدسها ..

وأصابته رصاصته مسدسها أولاً ..

وشب ان تنطق رصاصته بحراء من انشائية .
ومع الاصابع المستمرة ، ما ان المسدس فى عصف ،
وانطلقت رصاصته بعوض فى جدار القبو ، قبل أن
يطير هو بعد ، وتصرح الشقراء فى اندم وغضب :

ثم التفتت إلى (لاهم) ..

كانت ملامحها أشبه بلوحة منقّة للعصب والثورة ،
وهى ترمقه بنظرة تتدنع من أنسة الشهب ، وتهتف :
- أنت .. أنت .

صاح بها (لاهم) فى صرامة :

- انتهى الأمر .. لقد خسرت .

ولكنها اختطفت مشرطاً حراحيّاً وصرحت بغنة

- بل أنت الذى خسر أبهى المصرى أنت

وبكل قوتها هوت بالمشرط ..

على قلب (منى) مباشرة ..

★ ★ ★

أطلقت (حيهان) رصاصاتها فى حماس مذهش ،
وراحت تحصد رجال السنيور فى مبرة ، وهى تهف
- هى أبهى الأوعاد لا يمكنه الاستمرار على امرأة

منفردة ؟

كانت الرصاصات تنثر من حولها ، وتتفخر فى
الصخرة التى تحتمى بها ، ورصاصاتها تصيب العديدين
من رجال السنيور ، ولكن كنما سقط رجل منهم ، برز
من القصر رجلان آخران ، حتى لقد تساءلت (حيهان)
فى دهشة ساخرة :

- عجباً ! . هل يتوالت هؤلاء الأوغاد في الداخل ؟

لم تكن تحمل سوى مدفع ألى واحد ، تنفذ رصاصاته بسرعة ، فى حين يبدو وكأن خصومها يمتلكون ذخيرة لا محدودة ، لا تنضب أو تنفذ قط ، إذ لم يتوقف انهمار رصاصاتهم لحظة واحدة ، حتى نفذت ذخيرة مدفعها تماماً ، فالتقطت مسدسها الصغير ، هتفة :

- هيا يا (جيهان) .. لا تستسلمى . علمى هؤلاء الأوغاد كيف يكون القتال ، حتى آخر قطرة دم . ولكن رجال السنيورا لم يكونوا بالبساطة والمباشرة اللتين تتصورهما ..

لقد كانوا محترفين بحق ..

ففى الوقت الذى واصل فيه بعضهم تبادل إطلاق النار معها ، دار الآرون حول الصحور التى تحتمى به فى خفية ، ليهاجموها من الخلف ..

وعندما بدأت فى استخدام مسدسها الصغير ، كان اثنان منهم قد نجحوا فى الالتفاف بالفعل ، وصوبوا مدفعيهما إليها ، و

ودوت الرصاصات القاتلة ..

وانتفض جسد (جيهان) فى قوة ، مع نوى الرصاصات خلفها ، وخيل إليها لوهلة أن الرصاصات كلها قد

أصابت ظهرها . ثم لم تلبث أن انتهت إلى أنها لا تشعر بأية آلام ، فالتفتت إلى الخلف فى سرعة ، وارتفع حاجبها فى دهشة بالغة ، عندما رأت دبابة ضخمة تتجه نحوها ، وحولها عدد من جنود الجيش ، بكامل عتادهم وسلاحهم ، يعبرون فحوة الأسوار الشمالية ، ويشتبكون مع رجال السنيورا ..

وهتفت (جيهان) فى دهشة :

- رباه . أهى نجدة من السماء أم ماذا ؟ .. إننى أسمع منذ مولدى تلك المقولة الشهيرة : اسع يا عبد ، وليسع الله معك . ولكننى لم أتصور أنها صحيحة ودقيقة إلى هذا الحد .

برزت من خلف الدبابة واحدة من سيارات الجيش (انجيب) . وميزت بين ركيب المفتش بسو) ، الذى هتف فى حرارة :

- لقد وصلنا يا سيدتى وصفتنا أخيراً

تضاعفت دهشتها لمراه ، وهو يقفز من السيارة ، ويندفع نحوها ، فهتفت به :

يا الهى .. لقد أحضرت معك جيش حقيقياً أبها المفتش .. كيف فعلت هذا ؟!

هتف فى سعادة :

- لقد أقيمت رئيس الأمن العام ، لثدي أجرى اتصالاته مع وزير الدفاع شخصيًا ، ووضع هذا الجيش الصغير تحت تصرفي .

سألته في دهشة :

- وكيف أمكنك أن تقتعه بهذا ؟

أطلق ضحكة عالية ، قبل أن يجيب :

- لقد تحدثت أمامه إلى رئيس شرطتنا ، وأخبرته أن السنيورا عرضت على العمل لحسابها ، فراح يثني عليها ، ويؤكد لي أن عملي لحسابها سيمنحني الكثير والكثير ، ثم أبدى دهشته لأنني لم ألق مصرعي ، على الرغم من الانفعالات التي سمعها .. المهم أن حديثه معي كان كافيًا لإقناع رئيس الأمن العام بأنه وراء الأكمة ما وراءها ، وأن الأمر أخطر من أن ينتظر أدلة مادية ، فكان ما كان .

ثم سألها في لهفة :

- ولكن أين السنيورا (صاندو) ؟

اتسعت عيناها ، وهي تهتف :

- يا إلهي !.. (أدهم) .

فألتها ، وانطلقت تعدو نحو القبو ، والمفتش (بابيلو)

بضمخ خلفها في دهشة :

- (أدهم) !؟ .. من (أدهم) هذا ؟

ولكنها لم تسمعه ، فقد انشغل عقلها كله بسؤال واحد ..

تري ما الذي حدث في القبو !؟ ..

وما الذي انتهى إليه الأمر هناك ؟

هل نجح (أدهم) في إنقاذ (منى) ؟

لم !؟ ..

★ ★ ★

لم يكن (أدهم) في موقع يسمح له بإنقاذ (منى) أبدًا

نقد نفدت كل رصاصات مسدسه ، وجسده مثخن بأحراج . والمسافة التي تفصله عن الشقراء كبيرة . و

وبكل غضبه ، صرخ :

- لا .. لا تفعل .

ومع صرخته ، انطلقت صرخة أخرى .

صرخة الممرضة ، التي وثبت تتعلق بعنق الشقراء ، صارخة :

- كفى .. كفى .. لم أعد أحتمل هذا .

كانت انقضاضتها مباغثة ، حتى أن الشقراء فقدت
توازنها ، وسقطت معها أرضاً ، فاختلطت الممرضة
زجاجة جنوكوز كبيرة ، وهي تصرخ :
- هذا يكفي .. يكفي .

استدارت الشقراء لتواجهها بالشرط الجراحي الحاد .
إلا أن الممرضة هوت بالزجاجة الثقيلة على رأسه بكل
قوتها ، وهي تطلق صرخات عالية مذيقة ، ثم راحت
تكرر الضربة في عنف أكثر ، مرددة :

- هيا . موتى أيتها اللعينة ! موتى !
اتعقد حاجبا (أدهم) في شدة ، أمام المشهد الشنع .
عندما حطمت الزجاجة الثقيلة رأس الشقراء ، ففجرت
منه الدماء في غزارة . وهي تطلق صرخات آله ، ثم
تنسحب نحو الخوات مكتومة ، ثم همت حراسها
تماماً . والممرضة تواصل صريتها وصرخاتها
المجنونة ..

وفي ألم ، هتف الطبيب ، وهو يحاول كمال تمام
جرحه للفريرة :
- كفى .. كفى .

وكأنما حمل هتافه هذا الكلمة السحرية المشوكة .
فقد توقفت الممرضة عن تعظيم ما تبقى من الحديقة



ومع صرخته ، انطلقت صرخة أخرى ..
صرخة المرفوعة ، التي وثبتت تعلق بعض الشقراء ..

بغثة ، وحدقت فيما فعلته في ذعر ، وفي الدماء التي
تغطي يدها وصدرها ، ثم انخرطت في بكاء عنيف ،
وراح حسدها ينتفض في قوة ، فزحف الطبيب نحوها ،
وضمها إلى صدره ، مغمضاً :

- لقد انتهى كل شيء انتهى كل شيء .

هتفت في انهيار .

- ولكنني قتلتها قتلتها بكل قسوة .

تنهد مغمضاً :

- لقد تعذبت كثيراً ، ولم تكوني تدركين ما تفعلينه

هتفت منهارة :

- ولكن القتل أمر بشع .. بشع .

أما (أدهم) ، فعلى الرغم من جراحه المتعددة ،
والدماء الغريزة التي اغرقت ملابسه كلها تقريباً ، فقد
وقف صامت ، يتطلع إلى جثة الشقراء المحطمة الوجه ،
ويقل بحسره منبأ إلى (مى) ، قبر ان يتجه نحو
الآخرة في ببطء ، ويحنى لينتقط يدها الرقيقة ، ويضعها
إلى صدره ، متمتماً في حنان جارف :

- إنه أنا يا عزيزتى .. لقد عدت إليك .

اتسعت عينا الطبيب في دهشة ، وهو يحدق في
موشرات رسام المخ الكهربي ، التي راحت ترسم خطوطاً
منتظمة هائلة ، وتتم :

- مستحيل ! .. إنها معجزة .

ومع آخر حرف من حروف كلماته ، اندفعت
(جيهان) مع (بابلو) إلى الحجرة ، وهتفت (جيهان) :
- (أدهم) .. أنت بخير ؟!

ثم صرخت في ارتياح ، مع مظهره الرث ، والدماء
التي تغرق جسده ، وهتفت محدقة في الشقراء التي
تحطم رأسها ثعلماً :

- يا إلهي ! (أدهم) .. ماذا حدث هنا ؟!

واندفع (بابلو) نحوه ، هاتفاً :

- رباه ! .. إنك تحتاج إلى إسعاف عاجل يا سنيور
(صاندو) .

أجابته (أدهم) في حزم صارم :

- دعك مني ، واستدع اسعافاً طبراً ليحمل (منى)
إلى أقرب وحدة عناية مركزة أسرع سألته عليك ، قبل
أن ..

(أدهم) ..

كان ذلك الصوت الخافت ، الذي همس باسمه ضعيفاً
واهناً ، إلا أنه لم يكذب يسمعه حتى انتفض جسده كله في
غنف ، وخفق قلبه على نحو لم يعهده من قبل ، واتسعت
عيناه عن آخرهما ، وهو يستدير بكياته كنه ، صارخاً :

- (منى) !!

كأن برق في فراش المرض ، رقيقة ساكنة ، كما
أعبر رويها في الآونة الأخيرة ، ولكن مع فارق
جوهرى ضخيم ..

عند كانت عينا مفتوحتين ، تتطلعان إليه بنظرة
منزها الحب والحنان ..

والمرحى شفتا (أدهم) ، وهو يحدق فيها ، دون أن
يخرج من بهيم كنمة واحدة ، وارتعد جسد (جيهان) ،
و غرور فت عساه بالدموع ، مع غصة في حلقها ، في
حس طر دهول عارم من عيون (بابو) والطبيب
ومرئيه ، وهبط على المكان صمت مهيب ، بدا وكأنه
قد تمسك بك المنطقة بالتحديد عن كل ما يدور حولها
من أحداث ..

ثم تسمت (منى) بصوت رقيق ، وهي تضغط أصابع
(أدهم) في رفق ، وتبتسم ابتسامة بهمة مجعدة :
- بحير إلى انسى نعمت طويلاً .. طويلاً جداً .

رجع (أدهم) على ركبتيه ، إلى جوار فراشها ، وهو
يخبر بصوت منهج ، وبكلمات حمل كل حرف من
هموسها ما يكفي لمرء قلوب عشرات المحبين :

- ليس المهم كم نعمت يا حبيبتى . المهم لك الآن
هنا .. المهم أنك عدت إلينا .

لم تستطع (جيهان) السيطرة على عواطفها .
فأجهشت بالبكاء في حرارة ، في حين لم يطق (بابو)
بحرف واحد ، وتمتم للطبيب ذاهلاً :

- إنها معجزة .. معجزة بحق .

أما (منى) ، فقد تطلعت إلى (أدهم) طويلاً ، ثم
أن تقول :

- ولكنك مصاب يا (أدهم) رباه ! أنت مصاب
بشدة .

هز رأسه وهو يتسم ابتسامة شاحبة ، و يحصر
يدها بين راحتيه وهو يقول :

- لا تقلقى نفسك يا حبيبتى . انسى مسد لعمرك
صابت السيف كلها من أحر عيبك

تطلعت إلى عينيه في قلق ، هامة .

- ماذا حدث ؟!

ربت على يدها الرقيقة ، مجيئاً :

- كل شيء على ما يرام . لا داعى للقلق

شعر (بابو) برغبة عارمة في البكاء . فشرح
بوجهه ، قائلاً :

- سأستدع الإسعاف .

وأسرع يعادر الحجرة ، ماراً بـ (جيهان) . التي راحت تنكى فى حرارة ، مطلقاً العنان لكل مشاعرها وانفعالاتها . و (أدهم) يهمس لـ (منى) :

- سأروى لك كل شيء بإذن الله ، عندما تستعيدين نشاطك سأقص عليك قصة سنيورا مجنونة ، تصورتي يوماً أنها ستصبح أقوى امرأة فى العالم ، ثم انتهت حياتها بزجاجة جنوكوز بسيطة ، و .

قاطعه الطبيب ، وهو بهتف فجأة :

- بزجاجة جنوكوز ١٢ ولكن تلك التي لقيت مصرعها

ليست السنيورا ١٢ !

انتفض جسدي (أدهم) فى عنف ، والتفت إليه فى حركة حادة هاتفا :

- ليست السنيورا .

أجابته الممرضة فى مرارة :

- نعم هذه مساعدتها (ماري) . (ماري بوناسيو)

اتسعت عينا (أدهم) بشدة ، وتفجر فى أعماقه

غضب هادر ، فى نفس اللحظة التي التقطت أذنائه فيها

هدبر مروحة هنيوكوبتر ، تقلع من سطح القصر ،

فصاح :

- يا للعينة ١٠ !

ثم هتف بـ (منى) وهو يدعو إلى خارج المكان :

- سأعود إليك .

قفزت (جيهان) من مكانها ، وانطلقت خلفه هاتفة :

- انتظرنى .

بدت الدهشة على (منى) . وهي تتطلع إلى (جيهان) .

التي انطلقت خلف (أدهم) دون تردد ، وكأنما اعتادت

هذا منذ فترة طويلة ، وتمتت فى خفوت :

- ترى هل تغيرت أمور كثيرة ، فى أثناء فترة نومي

الطويلة ١٢ !

وبينما كانت تنطق عارتها ، كان (أدهم)

و (جيهان) يندفعان إلى ساحة القصر ، ويتطلعان إلى

الهليوكوبتر ، التي تحمر على جانبها شعار الأشعشع .

والتي حلفت مبتعدة فى الهواء . وهتف (أدهم) فى

غضب :

- ألم تحضروا معكم هنيوكوبتر أخرى " ١٣ .. هل سنتركها

تفر على هذا النحو ، أمام عيوننا جميعا ١٤

ولكن أحدا لم يجب ، وإن تعلقت عيون الجميع

بالهنيوكوبتر . التي انطلقت من داخلها ضحكة ساخرة

غير مميزة ، قبل أن تختفى وسط الطلام ..

وشي دهشة ، هتف أحد الجنود ، وهو يحدق في
(أدهم) :

- ربه ! أنك مصاب بشدة يا سنيور ، ويحتاج إلى
إسعاف عاجل .

اجبه (أدهم) في غضب ملاحظ ، وهو يتطلع إلى
السمه المتظمة ، حيث اختفت الهليوكوبتر مع السنيورا
الغامضة :

- س كنت احتاح إلى مدفع صاروخي ، لو شئت الدقة .
فهي ، واستدار نيعود إلى (منى) ، ولكن استدارته
جفت لأرض تميد تحت قدميه ، فترنح جسده في شدة ،
وهفت (جيهان) :

- (أدهم) .. يا إلهي .. (أدهم) .

ونكس ه حرم سمعه (أدهم صبرى) . قبل أن
يعد حمه عن حمه فيهوى رص وتضد الدنيا
كنها أمام عينيه ، و
ويتجاوز عالم الوعي ..

★ ★ ★

١١ - الختام ..

تتهذ المفتش (هاتكس) ، وهو يقدم تقريره النهائي
إلى رئيسه ، في مكتبه الرئيسي في العاصمة (واشنطن) ،
وقال مبهوراً :

- أعتقد أنها أخطر قضية جاسوسية في تاريخنا
الحديث . بعد الحرب العالمية الثانية يا سيدي . لقد
أنقينا القبض على أكثر من ثلاثين رجلاً ، من كبار
المسؤولين ورجال الجيش والشرطة ، كانوا يعملون
لحساب تلك السنيورا ، هذا بخلاف كل من ألقى القبض
عليه في (المكسيك) ، و (البرازيل) أيضاً . الواقع
أننا ندين لرجل المخابرات المصري هذا بالشكر الحاريل ،
فقد قدم لنا خدمات جليلة بحق .

سأله رئيسه في اهتمام :

- ولكن ماذا عن السنيورا نفسها ؟ ألم يستدل عليها

بعد ؟

مز (هاتكس) رأسه نفياً . وهو يحيب :

- مطلقاً .. لقد اختفت تماماً ، وكأنما انشقت الأرض
وابتنعتها . ولقد عثروا فى (المكسيك) على طائرتها
الهليكوبتر محطمة وسط الجبال ، ولكن لم يكن هناك
أثر لها أو لجثتها . أو حتى ما يشير إلى أنها كانت
داخلها عندما تحطمت ، ثم التهمتها الذئاب مثلاً ..
والأرجح أنها تخلصت منها ؛ لتمحو آخر أثر لها ، قبل
أن تتحل شخصية جديدة . أو تستقر فى مكان آخر ،
باسم آخر .

أوما رئيسه برأسه ، ثم سلكه :

- ألا يوجد ما يمكن أن تستدل به على شخصيتها .
أو هويتها السابقة ؟

عاد (هاتكس) يهز رأسه نفياً ، ومطّ شفتيه فى
أسف ، محيياً :

- على الإطلاق . وقد أكثر من بشير بهشتى بشتاب .

هن تصدق أن كل من راها عن قرب لقى مصرعه ،
والباقون من رجالها لا يمكنهم حتى وصفها بدقة ، فلم
يرها أحدهم عن قرب قط ، ومن الواضح أنها لم تكن
تسمح بالاقتراب منها سوى لعدد محدود من الأشخاص .
وحتى الذين تصوروا أنهم تعاملوا معها شخصياً ، ثبت
بالتحريات أن تلك التى رأوها أو تحدثوا إليها لم تكن

السنورا ، وإنما كانت مساعدتها (ماريا بوناسيو) ..
والأغرب أننا لم نعر على بصمة واحدة لها فى القصر
كله ، بعد كل تلك الفترة التى عاشتها فيه
رفع رئيسه حاجبيه وخفضهما ، وهو يتمتم مبهوراً :

- يا لها من امرأة !

ثم عاد يسأله فى اهتمام أكثر :

- ومذا عن رئيس الشرطة ، فى تلك البلدة المكسيكية ؟
ألم يكن هناك تعامل مباشر بينه وبينها ؟

أجابه (هاتكس) :

- هذا صحيح ، ولكنه لم ير سوى (ماريا) ، وطوال
الوقت كان يتعامل معها عبر الهاتف فحسب . ولقد
وجدوا فى قصرها أجهزة كمبيوتر خاصة ، مهمتها
تغيير صوتها إلى أى صوت تشاء ، عدم تحدث
هاتف

قال رئيسه :

- يا لها من امرأة حذرة ! ألم تترك خلفهما ولو
معلومة واحدة ؟

هز (هاتكس) كتفيه ، قائلاً :

- مجرد شائعات ، لا يمكن أبداً تأكيدها أو نفيها ،
فأبعض يقول : إنها روسية الأصل ، قضت فترة فى

معتقل (سيبيريا) ، ثم نحت في الفرار إلى (أمريكا) ،
حيث عملت كسيدة اعمال . إلى أن كوتت ثروة طائلة .
استخدمتها لتأسيس منظماتها . والنقص الآخر يؤكد أنها
فرنسية . وأن كل ما فعله مجرد ستار للمخابرات
الأوروبية . التي تسعى للتسلل إلى (أمريكا الشمالية)
والجنوبية . وتشير بعض الشائعات الأخرى إلى أنها
إسرائيلية المولد . كانت تعمل قديما في صفوف
(الموساد) . ثم انفصلت عنه لتؤسس جهاز مخابراتها
الخاص . أو أنها إسبانية . كانت تعمل قديم في تهريب
الماس . ثم قررت اقتحام عالم الجاسوسية . مجرد
شائعات يتم فحصها كلها الآن . في القسم الخاص بهذا
من الإدارة .

سأله رئيسه :

- ماذا عن حبلى الشخصية أو "احتدعية" أم
تتناولها تلك الشائعات أيضا ؟
مط (هانكس) شفتيه ، قائلا :

- بالتأكيد قتلوا . إنها كانت زوجة لواحد من كبار
رجال السياسة في (بريطانيا) . بل وربطها بعضهم
بالأمير (تشارلز) شخصيا . وقد البعض الآخر أن لها
ولدا واحدا . يتلقى تعليمه في مدرسة داخلية شهيرة في

(لندن) ، وإنها تتفق عليه بسخاء . وسمعا شائعة
ثالثة يصر أصحابها على أنها شقيقة واحد من كبار
زعماء (المافيا) . ولكنها انشقت عن العانة . وتحاول
إثبات تفوقها على رجالها . بفتحام مجال بالغ الحساسية
والخطورة كهذا .

ثم قلب كفيه . وعاد بهز كفيه . مستطردا .

- مجرد شائعات ..

أوما رئيسه برأسه متفهما ، وتهد قائلا :

- لن يدهشني لو أنها هي نفسها التي أطلقت كل هذه
الشائعات لإرباك كل من يسعى لتحري أمرها
وافقه (هانكس) وأضاف في حزم .
- الشيء الوحيد المؤكد . هو أنها ليست امرأة عادية .
بأي حال من الأحوال .

تمتم رئيسه :

- بالتأكيد .

ثم عاد ينقط التقرير . ويلقى عليه نظرة سريعة .
قبل أن يرفع عينيه إليه . قائلا في اهتمام بالغ :
- آه كدت أنسى أن أسألك عن أهم شخصية في
العملية كلها عن (إدم صبرى) نفسه كيف حاله
الآن ؟

بدا الأسف على وجه (هاتكس) ، وأطل واضحاً من
صوته ، وهو يحيب :

- الأطباء يقولون : إن حالته الصحية بالغة الحساسية
والخطورة ، فلقد أصيب بإصابات عديدة ، وفقد الكثير
من دمه ، وعلى الرغم من هذا فقد واصل القتال
كالوحش ، حتى حقق انتصاره . ولقد أثر هذا كثيراً على
خلاياه وأجهزته ، وبالذات الكبد والمخ ، وهم يبدلون
قصارى جهدهم الآن لرعيته وعلاجه .

هز رئيسه رأسه ، قائلاً :

- كن ينبغي أن نعالجه على نفقتنا الخاصة هنا ، في
الولايات المتحدة ، فهذه أقل مكافأة نقدمها له

تهذ (هاتكس) ، وأجاب :

- لقد عرضت هذا رسمياً بالفق ، ولكن دولته اعتذرت .
واصررت على علاجه في (مصر) وعلى يدي أطباء
مصريين ، وأكد لي السفير المصري أنهم لا يقلون
كفاءة ، بأي حال من الأحوال ، عن أفضل أطبائنا ..
ولقد تم نقله مع زميلته - بطائرة طبية خاصة ، إلى
(القاهرة) ، مع فريق من الأطباء ، تطوعوا جميعاً
للعملية بهما ، حتى يصلا إلى هناك .

شرد رئيسه ببصره لحضات ، قبل أن يتعمم :

- كل ما نملكه إذن هو أن نتمنى له الشفاء ، ففقدان
مثله خسارة بالتأكيد . خسارة فادحة

في نفس اللحظة التي نطق فيها بعبارة هذه ، كانت
الدموع تفرق وجه (قدرى) ، في مستشفى المعادي
العسكري في (القاهرة) ، وهو يسأل رئيس فريق
الأطباء ، الذي يشرف على علاج (أدهم) :

- هل تعتقد أنه سيشفى يا دكتور ؟ . هل تعتقد أنه
سينهض من كبوته هذه ، ويعود إلينا ثانية ؟

أجاب الطبيب في هدوء :

- الشفاء بيد الله (سبحانه وتعالى) . كل ما نملكه
هو أن نبذل قصارى جهدنا من أجله .

سألته (جيهان) في حزن جارف :

- وما نسبة الأمل في نجاته من هذا ؟

هز الطبيب كتفيه ، قائلاً :

- نحن لا نفقد الأمل أبداً . لقد استخرجنا من جسده
ست رصاصات ، وعدد من الشظايا الكامنة ، وأعلقنا
ثقب في رنته اليمنى . ونقلنا إليه لترين ونصف من
الدم ، ونمنحه الآن الرعاية والعلاج المناسبين ، وهذا
كل ما يمكننا فعله .

انحدرت دموعها على وجنتيها ، وهي تتمم -

- لم يتبق إذن سوى أن نتضرع إلى الله (سبحانه وتعالى) أن يعيده إلينا سالمًا .

وبكى (قدرى) فى حرارة ، قتلًا :

- يا لنقدر ! هل رأيت تلك المفارقة العجيبة ؟ ..

(منى) تستعيد وعيها ، بعد غيبوبة عميقة ، فيسقط

(أدهم) فى غيبوبة أخرى !! أتم يكتب لهما أن يلتقي

ثانية أبدا ؟!

شعرت بغصة فى حلقها مع قوله ، وتمتمت :

- المكتوب على الحبين لابد أن تراه العين

ثم تنهدت ، مستطردة :

- وبمناسبة الحديث عن (منى) إنها تطلب رؤيتي ،

وتقول : انها تريد أن تتعرف الزميلة ، التى شاركت

(أدهم) مغامراته بعدها .

تسبب (قدرى) بيدها ، قتلًا :

- لا تحبريها ن (أدهم) فى غيبوبة ، أخبريها انه

يرسل إليها تحياته ، وأنه بخير ، وسيتعافى سريعًا ،

ويأتى زيارتها الاطباء اكدوا أنها لن تحتل مواجهة

الحقيقة . وانها قد تصاب بانتكسة من جراء هذا

تمتمت (جيهان) :

- اطمئن . ان اعرف ما يبغى فعه حيدا

وعلى الرغم من مشيتها الواثقة ، وهى تتجه إلى
حجرة (منى) ، كانت اعماقها ترتجف كريحشة فى مهب

الريح ..

لم تكن المواجهة بالنسبة اليها سهلة أبدًا

مواجهة المرأة التى تأسفها فى حب (أدهم)

ونكنها كانت مواجهة لا مفر منها

(منى) بنفسها طلبت رؤيتها ..

وهى لا تدري ، حتى الآن ، اسبب الحقيقى لهذا .

ربما شعر قلبها بانها ايضا تعشق (أدهم) حتى

النخاع ..

أو أنها تريد التأكد من هذا ..

بدلت قصارى جهدها ، ستطرح الفكرة من راسها ،

وهى تدلف إلى حجرة (منى) وتسد على شفيتها

بنسمة البقة قذرة

- صباح الخير يا (منى) (أدهم) سنفك تحياته

الحارة ، ويقول انه سيحضر لزيارتك بنفسه ، عندما

يسمحون له بمغادرة حجرته .

تظنعت اليها (منى) بظرة صممة طويلة ، قبل أن

تتمتم :

- (أدهم) لم يطع أوامر الأطباء قط .

ارتبكت (جيهان) أمام هذه اللهجة الواثقة ، وقالت :
- إنه مضطر هذه المرة ، فهو ..

قاطعتها (منى) فجأة :

- (جيهان) .. ما شعورك تجاه (أدهم) ؟

كان السؤال حاسماً مباشراً ، على نحو لم تتوقعه
(جيهان) أو تتصور حدوثه قط ، حتى أنها حدقت فى
وجه (منى) باضطراب شديد ، قبل أن تجيب بصوت
لا يصلح لخداع دمية من المطاط :

- (أدهم) زميل عزيز .. أقصد أنه رئيسى فى العمل ،
وأنا أحترمه وأقدره ، و ...

ارتسمت ابتسامة حزينة على شفתי (منى) ، وهى
تقول :

- أنت تحببته يا (جيهان) .

اتسعت عينا (جيهان) فى هلع ، واحتبست الكلمات
فى حلقها ، وحتى تحدث فى وجه (منى) ، وفى
عينيهما ، اللتين تفرقتا بالدمع ، مع استطرادتها :

- ما من امرأة يمكن أن تعمل إلى جوار (أدهم) ،
دون أن تقع فى حبه بكيانها كله .

بذلت (جيهان) جهداً خرافياً ، لتتمتع بصوت مختلق :

- ولكنه يحبك أنت يا (منى) .

تحول الدمع المترقق فى عيني (منى) إلى سيل
منهمر ، أغرق وجهها كله ، وهى تقول :

- أنا لم أعد أصلح له يا (جيهان) .. لم أعد أصلح
لرجل مثله .. (أدهم) يستحق ما هو أفضل بكثير .. أنا
تحولت إلى حطام .. إلى شبح امرأة .. إنك لم ترى
جسدى جيداً .. إنه يحمل أثر عشرات الرصاصات
والطعنات ، والأطباء يقولون : إن فترة غيبوبتى
الطويلة أصابت عضلات ساقى بوهن مزمن ، سيحتاج
إلى عام كامل من العلاج الطبيعى ، حتى يمكننى الوقوف
على قدمى ، وإلى عام آخر ، قبل أن أعود لسابق
عهدى .. ومن المؤكد أنهم لن يعيدوننى بعدها قط إلى
قطاع العمليات الخارجية ، ولن أعود للعمل إلى جوار
(أدهم) مطلقاً .

انترعت (جيهان) الكلمات من أعماقها انتراعاً ،
وهى تغغم :

- هل تعتقد أن (أدهم) يعنيه هذا ؟ .. إنه يحبك
يا (منى) .. يحبك ولم ولن يحب سواك .. إننى أعترف
أننى غارقة فى حبه بكيانى كله كما تقولين ، ولكنه لم

يشعر بوجودى لحظة واحدة ، لأنه غارق بكياته كله فى حبك أنت .

هتفت (منى) فى مرارة :

- خطأ .. خطأ .. ينبغى أن يدرك أننى لم أعد أصلح له .. ينبغى أن يدرك هذا جيداً .

ثم أمسكت يد (جيهان) ، وتطلعت إلى عينيها فى ضراعة ، مستطردة :

- ساعدينى على أن يدرك هذا يا (جيهان) .. أرجوك .. ساعدينى على أن يحبك (أدهم) مثلما أحببى .

اتحدرت الدموع على وجنتى (جيهان) ، وهى تغغم :

- وهل تعتقدين أنه هناك وسيلة واحدة ، فى الكون كله ، يمكنها أن تحقق هذا ؟!

انتحبت (منى) ، وهى تشد على يدها ، قائلة :

- لابد أن نحاول يا (جيهان) .. ساعدينى أرجوك .. لابد أن نحاول .

هتفت (جيهان) :

- ولكن (أدهم) رجل رابع .. أروع رجل عرفته فى حياتى كلها .

أجابتها (منى) :

- ولهذا فهو لا يستحق نصف امرأة مثلى .

ثم انخفض صوتها ، وهى تضيف باكية فى حرارة :

- إنه يستحق واحدة مثلك أنت .

حاولت (جيهان) أن تقول شيئاً .. أى شيء ، ولكن

لسانها تحجر فى حلقها ، وعجز عن نطق حرف واحد ،

فتركت دموعها تنهمر فى غزارة ، وهى تتحنى لتطبع

قبلة على جبين (منى) ، ثم تندفع مغادرة الحجرة

كلها ..

ولكنها ، وقبل أن تبلغ الباب ، سمعت (منى) تهتف

باسمها ، فتوقفت ، والتفتت إليها متسائلة ، فتمتمت

(منى) من وسط دموعها :

- اعتنى به (أدهم) جيداً .

ولم تحتمل (جيهان) ..

لقد انفجرت باكية ، وهى تعدو خارج الحجرة ، ثم

استندت إلى الجدار المجاور لبابها من الخارج ، وكأنما

لم تعد ساقاها بقادرتين على حملها إلى ما هو أبعد من

هذا ، وغضمت لنفسها فى مرارة :

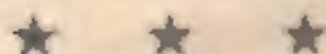
- ليتك تعلمين أن القضية لم تعد قضية من منا تستحق

(أدهم صبرى) يا (منى) .. صديقتى .. إننى مستعدة

للتنازل عنه لك عن طيب خاطر ، على أن يشفى . ويعود
إلينا .. المهم هو أن يعود إلينا يا (منى) .

ومع آخر حروف كلماتها ، انطلقت تبكي بكاءً حاراً ،
وبدت دموعها أشبه بحمم ملتهبة ، تتدفق من أعماق
الأعماق ..

أعماق قلب جريح .



[تمت بحمد الله]



د. نبيل فاروق

**رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زائفة
بالأحداث
المشهورة**

109

قبضة الشر

• كيف يمكن لـ (أدهم) أن يواجه أقوى
الأسلحة الأمريكية وأحدثها وحده ؟
• ما الخطة الجديدة . التي ستتبعها
السياسة القامضة . للتصا على (أدهم)
هذه المرة ؟
• ترى هل ينجح (أدهم صبرى) في استعادة
زمنياته (منى توفيق) أم تفتش حياتها
في (قبضة الشر) ؟
• اقرأ التفاصيل المثيرة . وقاتل بمقتلك
وكتائبك مع الرجل .. (رجل المستحيل) ..



الشن في مصر ٢٠٠٠
ومباده بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم : اغتيال